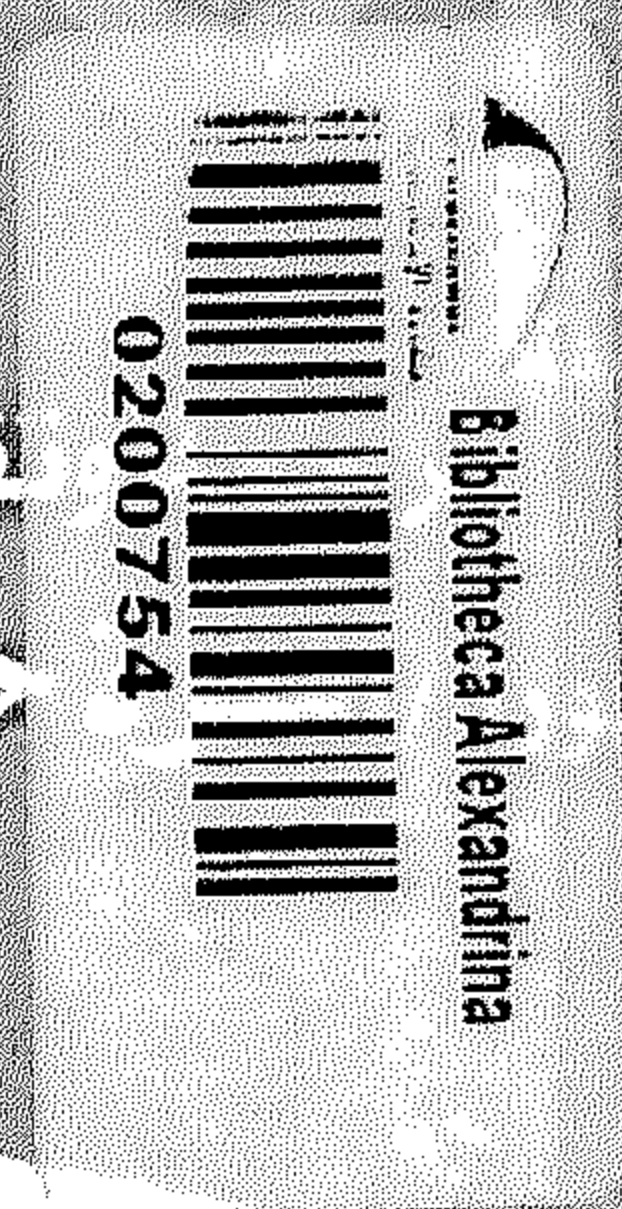


محاورة ثيافيتوس لأفلاطون أو صلى العظم



دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

تقديم
حلمي مطر



دكت

محاورة ثياتيتوس لأفلاطون أو عن العلم

ترجمة وتقديم

دكتورة / أميرة حلمي مطر

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتاب محاورة تياتيتوس لأفلاطون أو عن العلم

المؤلف : ترجمة الدكتورة / أميرة حلمي مطر

رقم الإيداع ١٨٣١٠

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

الترقيم الدولي I. S. B. N . 977-215-475-7

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناسخ ولا يسمح

بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأى

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناسخ

الناسخ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع ١٢ شارع بوبار لاطوغلى (القاهرة)

ت ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع دار غريب ٣.١ شارع كامل صدقى القجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الاول
والمعرض الدائم { ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾

صدق الله العظيم

مقدمة المترجمة

يتفق أكثر المؤرخين والشرح على أن محاوره ثياتيتوس^(١)، قد كتبت بعد وفاة سقراط بحوالي ثلاثين عاما أى حوالي عام ٣٩٦ ق.م. وقد سميت المحاوره باسم ثياتيتوس العالم الرياضي الذى ظهر في هذه المحاوره مع سقراط، أما راوى المحاوره فهو إقليدس الميجارى، أكبر تلاميذ سقراط سنا ومؤسس الفلسفة الميجارية.

روى إقليدس هذه المحاوره استجابة لطلب صديقه «تربزيون» الذى كان مشوقا لسماعها، غير أن الفرصة لم تسنح حتى أصيب ثياتيتوس في معركة حربية، وفي طريقه الى مدينته أثينا مارا بميجارا، مكان هذه الرواية. وقد دعا إقليدس غلامه وأمره أن يقرأ ذلك الحوار الذى كان قد دونه أيام كان يلتقي بسقراط في مدينة أثينا، واستراح الصديقان ليسمعا القراءة.

أما عن حقيقة هذا الحوار الذى دار بين سقراط وكان آنئذ فى السبعين من عمره وبين ثياتيتوس وكان يافعا لا يزيد سنه على السادسة عشرة، فالمرجح أنه كان من نبت خيال أفلاطون، إذ لا يوجد دليل مؤكد على أن هذه المحادثة تمت فى حياة سقراط^(٢). وتكون هذه المحاوره مع محاوره السفسطائي نظرية متكاملة فى المعرفة وهي تلي محاوره بارمينيدس وتسبق محاوره السفسطائي والسياسي، ويلاحظ الأستاذ أوجست ديبز Dies مترجم المحاوره من النص اليوناني إلى الفرنسية أن أفلاطون نفسه قد قصد أن تقرأ المحاورات على هذا الترتيب نفسه، بارمينيدس أولا فثياتيتوس فالسفسطائي فالسياسي. ويتضح هذا التسلسل إذا ما ذكرنا أن أفلاطون قد روى في محاوره بارمينيدس ما تم في لقاء متخيل بين سقراط وهو في سن العشرين وبين

(١) فى اللغة اليونانية تنطق «ثى آيتيتوس» Theaitetus وفى الترجمات العربية القديمة ذكرت «ثأطاطس» ولكننا فضلنا كتابة اسم العلم «ثياتيتوس» هكذا تيسيرا للنطق مع عدم الابتعاد عن الأصل، وعن الدارج فى اللغات الأوربية الحديثة.

(2) CF. Cornford., F.M. Plato's Theory of Knowledge London. 1935. Introduction.

بارمينيدس وزينون حوالي عام ٤٥٠ ق. م ، ولم يؤكد أحد من مؤرخي الفلسفة أن مثل هذا اللقاء قد حدث . ثم يشير أفلاطون في محاوره ثياتيتوس (١٨٣هـ) إلى هذا اللقاء المتخيل المذكور في المحاوره السابقة عليها .

كذلك تنتهي المحاوره بموعدهم الوفاء به في محاوره السفسطائي . وتتصف محاوره ثياتيتوس فضلا عن ذلك بأسلوب أفلاطون في المحاورات المتأخرة ، لذلك فهي تكون مع بارمينيدس والسفسطائي والسياسي مجموعه رباعية تلي مجموعه مينون وفيدون والجمهوريه وتسبق مجموعه تيمائوس وفيليبوس والقوانين.

ولعل من الطريف أن تقارن مقدمة محاوره ثياتيتوس بمقدمة محاوره خارميدس^(٣) . ففي مقابل خارميدس الشاب الوسيم يقدم لنا أفلاطون الشاب ثياتيتوس الذي لا يملك سوى جمال النفس ، وفي مقابل سقراط الذي لا يكتفي بعلاج الجسد بل يعنى - أيضا - بصحة النفس فيوجه خارميدس إلى الجدل الفلسفي بغير أن يثقل عليه، يظهر سقراط هنا في محاوره ثياتيتوس في دور من يمارس مهنة التوليد - توليد الأفكار من النفوس - فيحث ثياتيتوس على إخراج ما في باطنه من حقائق وإذا كانت محاولات خارميدس في تعريف الحكمة قد ظلت بلا جدوى حتى عثر على تعريف لها عند كريتياس فإن محاولات ثياتيتوس تظل تتخبط في تعريفات غير ناجحة حتى يصل إلى تعريف عام للجذور التربيعية مستمد من تعاليم ثيودورس ، ثم يصل من ذلك الى تعريف للعلم مستمد من فلسفة بروتاجوراس في نسبية الحقيقة ، ومن فلسفة هرقليطس في التغير الدائم . ويجرى الحوار في المحاورتين في ملعب ينبض بحيوية الشباب ، ولكن على الرغم من تشابه الإطار الخارجي إلا ان الروح العامة التي تسود محاوره ثياتيتوس تعد أخصب في مضمونها منها في خارميدس وأشد جفافا واتجاها إلى التعليم .

وفي محاوره ثياتيتوس ، حل سقراط الشيخ محل سقراط الشاب المتقدم حماسة العائد من معركة «بوتيديا» ليظهر سقراط هنا في صورة أستاذ شيخ يحادث شيئا مثله هو «ثيودورس» .

(3) A. Diés. Platon. Théétète. Paris 1950. Notice p. 123.

أما عن شخصية ثياتيتوس - كما جاء وصفها في المحاوراة فتوضح مثالا ونموذجاً لشخصية الفيلسوف كما يجب أن تكون عليه في تصور أفلاطون ، وتلتقى بذلك هذا الوصف الذي أورده في الباب السادس من محاوراة الجمهورية وهي الطبيعة الفلسفية التي تحقق الاتزان بين الذكاء المتقدم والفطرة المتأنية ، وهي نموذج يقدمه أفلاطون لشباب الأكاديمية .

أما سقراط فيظهر هنا في صورة جديدة عما عهدناه عليه في المحاورات السابقة صورة تجعله أشد دقة وأشد ميلاً للدراسة وقراءة الكتب وللحديث في العلوم التمهيدية للفلسفة فهي صورة تبتعد عن شخصية سقراط التاريخية . شخصية الفيلسوف الذي لا يدعى العلم ويحاول أن يثير الشك في نفوس محاوريه ولم يصور أفلاطون في هذه المحاوراة ثياتيتوس على أنه تلميذ لسقراط بل تلميذ للعالم^(٤) الرياضي نيودورس . وكان نيودورس يعلم بمدينة قورينائية وقد زاره أفلاطون هناك على حد رواية ديوجين لا يرس وقد ظهر في المحاوراة على أنه صديق لسقراط ولبروتاجوراس غير أنه بدأ أكثر ميلاً للحديث في الرياضيات منه إلى الخوض في الجدل الفلسفي . وقد ذكر نيودورس هذا في عداد الفيثاغوريين في مؤلفات أوديم ويامبليخوس^(٥) .

وقد التقى به ثياتيتوس في أثينا وتعلم بعض النظريات الهندسية المتعلقة بالنسبة الخاصة بقطر المربع إلى ضلعه وبالجذور التربيعية لسلسلة الأعداد من ٣ ، ٥ حتى ١٧ .

أما من الناحية التاريخية فقد ذكرت الأنسة إيفاساكس أن ثياتيتوس الأثيني الفلكي والفيلسوف كان تلميذاً لسقراط وأفلاطون ، وأنه قد علم بمدينة هراقلية وهو الذي ذكر الأجسام الخمسة Polyédres المنسوبة لأفلاطون في محاوراة تيمائوس^(٦) ولكنه بعد أن علم بهراقلية رجع إلى أثينا حيث عكف على تدريس الرياضيات بالأكاديمية وكان من أشهر تلاميذ أفلاطون شأنه شأن أودوكس العالم الرياضي الفلكي المشهور ، وقد حددت الباحثة ساكس مولد ثياتيوس أنه وقع في حوالي عام

(4) Diogène Laerce. ed. Budé III,6.

(5) Cf. A. Dies · Ibid., Notice p. 125.

(6) E. Sachs. De Theateto Atheniensi Mathemation. Berlin, 1914.

٤١٥ ق. م ، وأن من المرجح أن تكون وفاته في عام ٣٦٩ ق.م وهو التاريخ المفترض لهذه المحاورة وهو افتراض يتفق مع ما قد أثر عنه من أعمال تدل على النضج ، كذلك ذهب العالم الفرنسي تانرى Tannery إلى أن الكتاب الثالث عشر عند أقليدس الرياضي ليس مستمداً من أودوكس بل من ثياتيتوس وهذا ما يقرره برقلس أيضاً (٧) وتتفق الأنسة ساكس مع تانرى في الرأي اذ تؤكد ان ثياتيتوس يعد مخترع نظرية الأطوال غير المتناظرة (٨) Les incommensurables في الهندسة وأنه أيضاً مخترع قياس المجسمات La Stereometrie وهي التي كانت في مهدها في الوقت الذي كان أفلاطون يكتب فيه الكتاب السادس من الجمهورية .

أهمية محاورة ثياتيتوس :

تعد محاورة ثياتيتوس من أكثر محاورات أفلاطون حيوية وخصوبة وثراء في الأفكار، وذلك لأهمية الموضوع الذي تناولته وهو طبيعة العلم وقد كانت مشكلة المعرفة العلمية مشكلة ملحة في العصر الذي كتب فيه أفلاطون هذه المحاورة . وما زال لها وزنها حتى اليوم . ومن أهم ما ناقشه أفلاطون في هذه المحاورة النظرية الحسية في المعرفة التي توحد بين العلم والمعرفة الحسية وهي نظرية تتفق إلى حد كبير مع فلسفة بروتاجوراس وقوله بالنسبية ، أى أن الإنسان هو مقياس كل شيء ، كما يناقش -أيضا - فلسفة التغير والصيرورة الدائمة المستمدة من فلسفة هرقليطس والتي تتفق مع حد كبير إلى موقف بروتاجوراس السابق ويعد أن يبين أفلاطون استحالة التسليم المطلق بهذه الآراء يشير بطرف خفي إلى ضرورة افتراض المثل العقلية ويقدم محاولتين أخريين في تعريف العلم ، الأولى هي قوله إن العلم هو الظن الصادق، والثانية هي قوله إن العلم هو الظن الصادق المؤيد بالبرهان العقلي ، غير أن هذين التعريفين يفشلان بدورهما لعدم إمكانية الوصول إلى معيار محدد لصدق الأحكام أو الظنون ، ولأن التفسير العقلي يحتاج بدوره لتفسير ، فمثل هذا لتعريف يظهر أنه يدور في حلقة مفرغة .

(7)P. Tannery, Geometrie Grecque. p. 100 et. aussi G. Milhaud, les Philosophes Geometres de la Grece. 1900 p. 159-164

(٨) انظر فقرة ١٤٧ ، ١٤٨ من المحاورة.

ورغم النتيجة السلبية في هذه المحاورة إلا أنها تعد في الواقع نقطة تحول كبيرة في فلسفة أفلاطون التي كانت قد وصلت بتأثير نقد المذاهب الفلسفية المعارضة له إلى طريق مسدود وبخاصة في محاورة بارمنيدس السابقة عليها مباشرة ، فقد بدأ أفلاطون يواجه كثيرا من المشكلات المترتبة على افتراض أن المثل مفارقة للجزئيات ووجه نقده لفكرة المشاركة Participation التي سبق أن فسر بها علاقة المحسوسات الجزئية بالمثل المفارقة في محاورة فيدون والجمهورية ، وكان أهم ما وجه لفكرة المشاركة هو السؤال كيف يشارك المثل في المحسوسات؟ هل يوجد بأكمله في كل الأشياء التي يشير إليها؟ أم يشارك بجزء منه؟ ولما كان كلا الفرضين محال لانتقاء الكثرة والقسمة عن المثل فقد أخذ يبحث عما إن كان المثل فكرة في عقل ما ، لكن المثل موضوع للأفكار وليس عقلا أو عملية تعقل ، أما القول بأن الأشياء تحاكي المثل فقد ظهر بأنه قول يفضي إلى عدد لا نهائي من المشكلات ، لأنه إذا كان الأصل والصورة متشابهين فلا بد أنهما يفترضان صفة مشتركة بينهما وهذه الصفة المشتركة تفترض مثالا جديدا ، والنتيجة أن المشاركة لا يمكن أن تفسر على أساس المشابهة (٩) .

ومع كل هذه الصعوبات لا يتراجع أفلاطون في محاورة بارمنيدس عن التمسك بنظرية المثل ، فبغير المثل لا يوجد حوار فلسفي ، وبالإضافة إلى المشكلة الناتجة عن علاقة المثل بالجزئيات المحسوسة تثير محاورة بارمنيدس مشكلة لم يضع لها أفلاطون حلا نهائيا إلا في محاورة السفسطائي وهي تتلخص في السؤال عن العلاقة لا بين المثل والجزئيات ، بل عن العلاقة بين المثل وبعضها ، أي كيف يمكن للمثال الواحد أن يختلف أو يتشابه وأن يتصل بغيره من المثل؟ وهل هي مثل الواحد البارمنيدى؟ يجيب عن هذا السؤال بأن الوجود العقلي لا يمكن أن يتخذ صفات الواحد البارمنيدى للسكون المطلق ولا الكثرة المطلقة يفسران الوجود، كما أنه لا يمكن للسكون المطلق ولا الحركة المطلقة أن ينسبا للوجود ومن ثم فقد بدأ أفلاطون يراجع من جديد المذاهب المثالية الميتافيزيقية النافية للكثرة والحركة . كما بدأ يراجع من

(٩) انظر نقد نظرية المشاركة في محاورة بارمنيدس لأفلاطون.

جهة أخرى المذاهب الحسية التي تسلم بالكثرة والحركة المطلقة فهو لا يوافق بارمنيدس أبا المثالية في استبعاد عالم الظواهر على أنه وهم مطلق ، كما لم يوافق بروتاجوراس وهرقليطس فيلسوفى النسبية والتغير على القول بأن الحقيقة توجد في عالم المحسوسات الدائمة السيلان ، وإذا كانت محاورة بارمنيدس تتضمن نقده للمذهب الأول فقد جاءت محاورة ثياتيتوس لتقدم نقده على المذهب الثاني .

ومن الواضح أن أفلاطون قد اتخذ في اعتباره ابتداء من هذه المحاورات كثيرا من القضايا الفكرية التي لم تكن واضحة في المحاورات السابقة والتي اكتملت في المحاورات التالية . وأول ما يلاحظ هنا المعرفة اليقينية أو العلم epistéma عند أفلاطون لم يعد يفسر بأنه الركون إلى تأمل الحقائق العليا الخالدة الأزلية بقدر ما أصبح محاولة وجهدا لتعقل العلاقات القائمة بين هذه الحقائق ، ومن هنا تتضح عنايته بمنهج القسمة والجدل العقلي على نحو ما ظهر خاصة في محاورتي فايديروس والسفسطائي وهما اللتان وضحتا كيف تكون المثل في حركة اتصال وانفصال ، ففي محاورة السفسطائي تحليل يوضح نظريتي الوجود واللاوجود . ويذهب فيها إلى أن المثل تتصل ببعضها ولكن في حدود معينة . وإن في كل منها قدرا من الوجود وقدرا من اللاوجود وفيها ذاتية – وغيرية وحركة وسكون ، ومن هنا فإن مبدأ عدم التناقض لا يطبق بطريقة مطلقة ، كما كان يفهم في فلسفة بارمنيدس وأتباعه الميجاريين ولا هو يقيم التناقض المطلق الذي طبقه أتباع هرقليطس فقالوا بالسيلان الدائم والضرورة المطلقة التي تلغي كل ثبات (10) .

وبناء على هذا التطور الفكري فقد أصبح إدراك المثل يفترض إدراك الوحدة التي تفسر الكثرة ، غير أنها ليست وحدة بسيطة ، بل هي وحدة مركبة حيث إنها ذات علاقات متعددة . وقد كانت محاولة أفلاطون في تفسير المثل ببعضها ضرورة لا غنى عنها لتبرير قيام اللغة العلمية التي تتركب من موضوع ومحمول ، بحيث يمكن الاتصال بين موضوع كسقراط وبين محمول كإنسان ومن هنا يتخذ فعل الكينونة وظيفة الرابطة بين مثال وآخر أو بين فكرة وفكرة أخرى ، وبهذه النتيجة نجح أفلاطون في تنفيذ

(10) L. Robin, Platon. Paris. 1938, p. 49-66.

دعاوى الآليين وأتباعهم الميجاريين الذين أنكروا إمكانية إضافة تصور إلى آخر ، وبالتالي إمكانية الحكم فلا يمكن وفقا لنظريتهم أن نحكم على سقراط بأنه إنسان ، بل نحكم على سقراط بأنه سقراط وعلى الإنسان بأنه إنسان .

ولقد أحاطت محاورة ثياتيتوس بكثير من القضايا – التي أثارت في المحاورات المتأخرة سواء عند أفلاطون أو عند معاصريه خاصة من خلال التعريفات الرئيسية الثلاثة للعلم التي وردت بهذه المحاورة .

خلاصة المناقشة حول العلم

وتكون التعريفات الثلاثة للعلم المذكورة في هذه المحاورة أقسام المحاورة الرئيسية ، و خلاصة هذه التعريفات الثلاثة أن العلم إحساس من ، ١٥١-١٨٧ ب وأن العلم هو حكم صادق ١٨٧ ب -٢٠١ د وأن العلم هو حكم صادق أو ظن صادق مصحوب بتفسير عقلي أو ببرهان ٢٠١ و -٢١٠ أ .

التعريف الأول للعلم :

يستنفذ عرض هذا التعريف ومناقشته الجزء الأكبر من المحاورة ، فهو على حد قول الأستاذ أوجست دييز^(١١) أكثرها درامية وحيوية وهو يستنفذ ٣٦ صفحة مقابل ١٤ و ٦ صفحات في نشرة هنري اتين . والأجزاء الرئيسية لهذا القسم تتلخص في جزء هو عرض النظرية من ١٥١ الى ١٦٠ وجزء نقدي من ١٦٣ إلى ١٨٧ ويفصل بينهما استطراد يتدخل فيه ثيودوروس بالمناقشة ويبدأ ثياتيتوس بعرض تعريفه للعلم episeme بأنه إحساس «aisthesis ويرتبط هذا التعريف بنظرية بروتاجوراس التي تتلخص في عبارته الشهيرة : «الإنسان مقياس كل شيء» . ومعنى هذه العبارة أن ما يبدو للفرد أو ما يحس به الفرد فهو صحيح الوجود بالنسبة له ، وتستند هذه النظرية إلى فلسفة أقراطيلوس القائلة بالضرورة المستمرة والسيلان الدائم ، وعلى أساس هذه النظرية التي تسلم بالضرورة الدائمة يمكن تفسير الإحساس أنه حركة مزدوجة،

(11) A. Diés. Théétète. Ibid. Notice. p. 130.

حركة في العضو الحاس كالعين وحركة أخرى صادرة عن الواقع الخارجي أو المحسوس وبالتقاء الحركتين السابقتين تتولد حركتان أسرع من الحركتين السابقتين عليهما هما حركة العين الرائية واللون المرئي ، ومثل هذه النظرية يتبن لنا أن كل ما يظهر من أشياء ليس سوى أحداث ناتجة من تفاعل الحركات ، وقد رجع أفلاطون إلى هذه النظرية في محاورة تيمائوس عندما كان بصدد تفسير الإبصار (١٢) ويلاحظ سقراط بضع ملاحظات نقدية .

وخلاصة هذه الملاحظات التي يبديها سقراط تدور حول الآتي : (١٦٠ إلى ١٦٥):
أولاً : إن نظرية بروتاجوراس تنتهي إلى القول بأن ما يراه الخنزير أو القرد هو صحيح بالنسبة له وأنه يتساوى في الصدق برأى أى إنسان ما دامت هذه الكائنات تحس وتدرك .

ثانياً : لن يكون لرأى ما أفضلية على رأى آخر ، وبناء على ذلك فلا يمكن لنا أن نعتقد في صدق رأى بروتاجوراس نفسه أو اعتباره أفضل من رأى أى واحد من تلاميذه.

ثالثاً : سوف تتناقض نظرية بروتاجوراس الحسية مع ما نلاحظه من أن من يسمع لغة وهو لا يعرف معناها فهو رغم إدراكه للأصوات لا يدرك المعاني، ومن جهة أخرى إذا افترضنا أن رأى أحد ما منظرًا ثم أغمض عينيه فلا ريب أنه سوف يتذكر الصورة ، الأمر الذى يثبت أن التذكر - وهو شئ مختلف عن الإحساس - ينطوى على معرفة .

وعندما يأخذ سقراط على عاتقه مهمة الدفاع عن نظرية بروتاجوراس لأنه - فيما يزعم - لو كان حاضرا لرد على هذه الاعتراضات (١٦٦-١٦٨) يقول: انه يمكن للشخص نفسه أن يعرف ولا يعرف الشئ نفسه ، ذلك لأن الإنسان ليس ذاتا واحدة ، بل هو عدد لا نهائى من الذوات، ولكل ذات من هذه الذوات إحساسها الفردى الحقيقى بالنسبة لها ، لكن إذا لم يكن يوجد اختلاف بين الأفراد فيما يتعلق بما يحصلون عليه من حقائق لأن لكل حقيقته النسبية إلا أن هناك اختلافا في قيمة معرفتهم ومدى

(12) Plat., Tim 45-46.

نفعها ذلك لأن حال الفكرة كحال النبات لا يجوز أن يتفاوت قدر أى كائن منهما عن الآخر في الوجود ، بل يفوق بعضه البعض الآخر في الصحة أو في النفع . ونحن نلاحظ تبعاً لذلك أن الحكيم أو المزارع أو الطبيب أو الخطيب يعرف كل واحد منهم كيف يستطيع أن يعكس الحالات السيئة بحالات أصح حين يستبدل بالميل أو الإحساسات أو الأفكار المريضة اتجاهات وإحساسات وآراء أكثر منهما استواء ونفعاً ، كذلك الحال بالنسبة للمدينة يكون الأصح لها هو الأكثر قيمة . ويلاحظ أن نظرية العلاج الواردة هنا تذكرنا بما ورد في محاورة المأدبة ^(١٣) غير أنه لا يظهر أن أفلاطون قد استلهم نظريات الطب هنا بقدر ما استلهم نظريات السفسطائيين ذوى الاتجاهات العلمية البرجماتية .

أما سقراط فيقدم رده على ذلك النقد الذى تبرع به لصالح بروتاجوراس (١٧٠-١٧٩) ويقدم أول محاولة لنقد المذهب البرجماتي ويذكر اعتراضين يفصل بينهما استطراد يشير فيه إلى أفضلية حياة التأمل والفكر على الحياة التي تسعى إلى الكسب العملى .

والاعتراض الأول يتلخص في أن كل فرد منا يسلم بأنه يعرف حقيقة بعض الأشياء ويجهل حقيقة بعضها الآخر ، وما دام هذا اعتقاداً عند الإنسان فهذا الاعتقاد صحيح وفقاً لمبدأ بروتاجوراس، ولكنه من جهة أخرى يدحض مبدأ بروتاجوراس ، إذ يبين في الوقت نفسه أن رأى الفرد ليس دائماً هو المقياس لحقيقة كل شيء . وكثيراً ما يظهر أن الأصلح بالنسبة للفرد وللجماعة ليس ما يعتقده الفرد ولا الجماعة وإنما ما يعتقده الخبير في الأمور المتعلقة بهم ولذلك فإن استبدال بروتاجوراس الحق بالنافع أو المفيد هو قول خاطئ ، لأن النافع والمفيد يحتاجان إلى معيار يقاسان به وهنا يستطرد سقراط إلى الحديث عن حياة التأمل الفلسفى وهو وصف مقابل لذلك الوصف الساخر الذى ساقه على لسان كاليكليس في محاورة جورجياس (٤٨٢-٤٨٦) التي ذم فيها حياة التأمل والفكر ، وبين سقراط هنا على عكس ما سبق ذكره في محاورة جورجياس كيف يعد الفيلسوف حراً إن قورن برجل الحياة العملية. إنه حر فى

(13) Plat., Symp. 186.

أن يبذل للحقيقة ما يشاء من وقت، حر في أن يحلق بفكره إلى أى أبعاد يود التحليق فيها ، أما رجل المنفعة العاجلة وإذا ما تعلق الأمر بالسعادة الحقة وبالغاية القصوى بدا أضحوكة أمام الناس ، ولذا فقد انتهى أفلاطون إلى تعريف الفلسفة بذلك التعريف الشهير الذى أخذ عنه طوال العصور الوسطى من أن الفلسفة هي التشبه بالآلهة بقدر الطاقة الإنسانية . ثم يعود سقراط بعد هذا الاستطراد إلى تقديم بقية نقده لقضية بروتاجوراس التى تتلخص (١٧٦-١٧٩) في القول بأن إحساس الإنسان هو المقياس، يقول في معرض نقده لها : إننا إذا تناولنا معتقدات كل إنسان فينبغي أن نفرق بين معتقدات حاضره ومعتقدات تتعلق بالتنبؤ بالمستقبل ، وفيما يتعلق بالمعتقدات التى تقع على المستقبل لا يمكن لأحد أن يشك في أن تقدير الخبير يكون أصدق وأكثر من تقدير العامة ، فتقدير الشفاء من مرض معين لا يرجع إلى رأى المريض ولا إلى رأى أى إنسان من الناس ، بل يرجع إلى الطبيب الذى يكون رأيه بهذا الصدد أكثر رجحانا وأصدق احتمالا .

وبهذا ينتهي سقراط من توجيه نقده لقضية بروتاجوراس ويبقى عليه أن ينتقل إلى نقد رأى هرقليطس (١٧٩-١٨٤) وهو الأساس الميتافيزيقي لنظرية المعرفة عند بروتاجوراس .

ويرجع سقراط مصدر هذه النظرية في الحركة الشاملة للوجود إلى شعراء الكوزمولوجيا القدماء أمثال: هوميروس وهزيود وأورفيوس ، وهي تنسب لهرقليطس ، وأتباعه وقد ترتب على هذه النظرية أن رفض إقراطيلوس الكلام (٣٨٤) لأنه لا يلاحق التغيير المستمر في الأشياء ، أما عن معنى الحركة عند هؤلاء فيتضمن أن كل شئ في الوجود يخضع لنوعين من الحركة النقلة في المكان Locomotion وحركة التحول في الصفات أو الاستحالة alteration ولكن لو كان كل شئ عرضة لحركة مستمرة فسوف يترتب على ذلك أن تصبح اللغة مستحيلة ، لأننا لا يمكن أن نطلق اسماً على شئ ما طالما لم يكن لهذا الشئ استمرار في الوجود ، ومن جهة أخرى فإن الإحساس الذى سبق أن فسرناه على أساس التقاء الحركتين ، حركة الإحساس وحركة الصفة المحسوسة سرعان ما يتحول إلى ضده فلا يصبح إحساساً، فإذا افترضنا كما يفترض

بروتاجوراس أن الإحساس معرفة فإن المعرفة بدورها بناء على قضية التغير الشامل سرعان ما تتحول إلى لا معرفة.

والنتيجة النهائية تبين لنا فشل التعريف الأول المستمد من نظرية التوحيد بين العلم والإحساس ، ومن نظرية الإنسان المقياس عند بروتاجوراس ونظرية التغير الشامل عند هرقليطس بل سوف يتضح لنا فضلا على كل شيء أن مجرد محاولة وضع تعريف للعلم لاغية ، بناء على منطق هذه النظريات .

ويضيف سقراط بعد ذلك (١٨٤-١٨٦) تعليقا على طبيعة المعرفة بين فيه قدرة النفس على القيام بعمليات التأليف والمقارنة فيقول . إن الإحساسات التي تصلنا من العالم الخارجي ليست متراصة بداخلنا كجنود هوميروس في باطن حصان طروادة الخشبي بل يوجد في أنفسنا مركزا وظيفته السير في الموضوعات المشتركة أي يقوم بعمليات القياس والاستنباط التي لا يمكن للإحساس أن يدركها كتصورات العدد ، ومن ثم فالفكر يستعمل الحواس كما لو كانت آلات organs ولكنه يتجاوز معطيات الحواس عندما يقوم بوظائف المقارنة .. والتجريد والاستدلال العقلي وينتهي من ذلك بأن ما نراه بالعين ينبغي أن يأتلف مع ما نسمعه بالأذن أو نلمسه باليد ولا يقوم بعملية هذا التنسيق والارتباط إلا العقل وهذه العملية الاستدلالية تنتهي إلى حدوث ما يسميه أفلاطون بالحكم أو حدوث رأى أو ظن Doxa-Opinion وقد سبق أن أفادت هذه الكلمة عند أفلاطون معنى الظن الذي يقابل العلم اليقيني episteme لكن الحكم أو الظن قد يكون خاطئا أو صادقا ولذا فإن سقراط يشترط لكي يكون الحكم علما أن يكون صادقا .

فهل يجوز أن نعرف العلم بأنه الحكم الصادق ؟ إن هذا السؤال هو موضوع التعريف الثاني للعلم (١٨٧-٢٠٠) .

التعريف الثاني : العلم والحكم الصادق ؛

تفسر كلمة يظن أو يحكم Doxazein عند أفلاطون بأنها تعنى الوصول إلى رأى معين نتيجة الشواهد المحسوسة وهو ما يحدث عادة في عقول القضاة بعد سماعهم للخطابة القضائية؛ ولذلك فهو ظن أو رأى ينتهي إلى حكم صامت داخلي Opiner-Juger

على حد تفسير الأستاذ أوجست ديز (14) ويقول تيلور الفيلسوف الإنجليزي الشهير بدراساته عن أفلاطون (15) في ترجمته لهذه اللفظة اليونانية أنها ظن belief أو حكم Judgment ، وإنها في المحاورات السابقة كانت أقرب إلى أن تكون ظنا لأن في الظن احتمال الصواب والخطأ ، أما في هذه المحاورة – كما في أغلب المحاورات المتأخرة – فتتخذ الكلمة معنى الحكم judgment بغير أن يتضمن معناها أية إشارة تفيد التردد وقد استعملت في الترجمات الأوروبية بمعنى حكم تارة وظن تارة أخرى وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه .

لكن إن افترضنا أن العلم هو حكم صادق فلا بد أولاً أن نفسر ما هو الحكم الخاطئ ، لأن الحكم يحتمل الخطأ والصواب .

فهل يكون الحكم الخاطئ هو الخلط بين شيء نعرفه وشيء آخر نعرفه – أيضاً – أو هو الخلط بين شيء نعرفه وآخر لا نعرفه ؟ ولكن من الناحية الموضوعية نحن لا نستطيع أن نخلط بين ما هو موجود وما هو غير موجود ، لأن التفكير في ما ليس موجوداً لا يكون تفكيراً على الإطلاق ، ومن جهة أخرى لا نستطيع أن نخلط بين ما هو موجود وما هو موجود لأن تساوى وجود الموضوعين في الوعي لا يؤدي إلى الخلط بينهما ، لذلك يلجأ أفلاطون إلى تفسير سيكولوجي للحكم الخاطئ فيرى أن مصدر الخطأ في الحكم يرجع إلى الذاكرة التي تشبه لوحة من الشمع تنطبع عليها المدركات ، وبمرور الزمن تتحول هذه المدركات إلى آثار مبهمة ، فإذا أراد الإنسان أن يطابق بين انطباع جديد والانطباع السابق وجوده في الذاكرة فقد يخطئ ، غير أن الخطأ يقتصر على عدم المطابقة بين الإدراك الحسي والذاكرة بل يمكن أن يقع في مجال التفكير المجرد مثلاً عندما نخطئ في عمليات الجمع كأن نقول : إن $5+7=11$ لكن يمكن تفسير وقوع هذا الخطأ بأن نشبه الذاكرة بقفص نحتفظ فيه بعدد من الطيور فنحن نقتني هذه الطيور طالما ظلت في القفص ، لكن يمكن لنا إذا شئنا أن نمسك بأى منها فنجعله في قبضة يدينا .

(14) A. Diés- Autour de Platon. Paris 1926 p. 460.

(15) A.E. Tylor. Plato-The Man and his work. London 1952.

فالطيور التي تتطاير في القفص ترمز للعلوم في ذاكرتنا والطائر في قبضتنا
رمز للعلم لحظة تفكيرنا فيه وقد نخطئ العلم المقصود بعلم آخر إذا ما أطبقنا بيدنا
على طائر غير الطائر المقصود .

ويعتمد هذا التشبيه عند أفلاطون على التفرقة بين معنى الاقتناء
To possess posséder يقتني الإنسان ثوبا ولا يلبسه وبين الامتلاك الفعلي الذي يعنى أن
يستعمل الإنسان ما يمتلكه «أو ما هو في يده» having it in use- avoir ولكن يبدو أن
نتائج هذا التفسير لا تكون مقنعة لأننا نفسر الخطأ هنا بواسطة العلم ، فبسبب وجود
العلم نقع في الحكم الخاطيء ، أى نحن أخطأنا س و ص من العلوم ، لأننا نملك علما
بهما ، ولهذا يفشل هذا التعريف الثاني الذي يوحد بين العلم والحكم الصادق ولأن
التجربة اليومية تبين لنا أن الحكم الصادق حين يحدث خاصة عند القضاة في
المحاكم، إنما يحدث بتأثير من الخطباء وبغير أن يستلزم وجود علم سابق ، لذلك ينتقل
سقراط إلى البحث في التعريف الثالث للعلم .

التعريف الثالث :

العلم حكم صادق أو ظن صادق مؤيد بالبرهان أو التفسير العقلي

Logos: (٢٠١-٣٢٠) (Opinion vraie accompagnée de raison)

يقدم ثياتيتوس هذا التفسير على أنه قد سمع به من قبل ويقدم سقراط شرحه على
هذا التفسير . ولكن البرهان Logos المضاف إلى الحكم لا يقع على العناصر الأولية
البسيطة stoicheia التي تدخل في تكوين المركبات - فالعناصر لا يمكن تعريفها ولا
معرفتها ولا إدراكها^(١٦) .

وعلى العكس من ذلك تكون المركبات التي تتصف أنها تقبل البرهان والتفسير
العقلي ، فمثلا عندما نتناول مركبات مثل مقاطع اللغة ونحللها إلى الحروف التي
تتركب منها عندئذ يمكن أن نقول إننا نضيف إلى الحكم الصادق تفسيرا عقليا وبرهانا

(16) aloga-agnosta-astheta.

Logos ولكن هناك نقدا يوجه إلى هذا التعريف إذ كيف نعرف العناصر الأولية التي يتركب منها؟ وثانيا ما معنى اللوغوس :

أولا : تعني كلمة لوغوس Logos اللغة التي تعبر عن الفكر بواسطة الأسماء والأفعال وكل إنسان ما عدا الأصم والأبكم قادر عليها بغير أن يتوفر له العلم .

ثانيا : تعني تحليل المركب إلى عناصره وحصرها ، ولكن حتى الطفل الصغير يستطيع أن يحصى لنا الحروف ولا يصل مع ذلك إلى العلم.

ثالثا : هل يكون اللوغوس الخاصة المميزة diaphora the differentia أى الصفة التي تميز الشيء عن باقي الأشياء الأخرى؟

لكن الظن الصادق يفترض ضمنيا معرفة هذه الخاصة المميزة ، أى لو كان لدينا ظن صادق عن ثياتيتوس فنحن نعرف بالتالي ما يميزه عن غيره ، واشتراط إضافة المعرفة بالخاصة المميزة للظن الصادق لكي يتحول إلى علم لا يعني إلا أننا لكي نعرف ما هو العلم ينبغي علينا أن نضيف العلم خاصة إلى الظن الصادق الموجود لدينا وهذا معناه الوقوع في دائرة مفرغة ، أى التعريف بالمعرف

كذلك تنتهي المناقشة ظاهريا إلى نتيجة سلبية حين يتضح أن العلم يختلف عن الإحساس كما يختلف عن الحكم الصادق المؤيد بالبرهان . ولكن الذى لا شك فيه أن هذه المحاورة حين بينت ما ليس هو العلم فقد أشارت ضمنيا إلى حقيقة المعرفة العلمية ذلك لأن النقاش الذى دار فيها كان يتناول موضوعات ليست هي في الحقيقة الموضوعات الصالحة للمعرفة العلمية عند أفلاطون ، فالعلم الذى يقصده أفلاطون ليس العلم بالجزئيات ، بل العلم بالمثل أو الحقائق الكلية المعقولة وهذا ما استهدفه أفلاطون في المحاورة التالية وهي محاورة السفسطائي غير أن سقراط لا يكتئب إن لم يصل مع ثياتيتوس إلى نتيجة إيجابية ، لأنه على الأقل قد وصل بثياتيتوس إلى مرحلة من النضج الفكرى تجعله لم يعد يدعي المعرفة بما لا يعرف ..

قال الحكيم في نهاية المحاورة : «فإن حاولت بعد كل ذلك يا ثياتيتوس أن تتصور من جديد وتصورت فإنك سوف تمتلئ بأفكار أفضل بعد أن تطهرت بالبحث الحالي ، أما على العكس من ذلك إن بقيت خاليا من الأفكار فسوف تكون أخف ظلا على

من ترافقهم وأكثر تهذيباً لأنك بحكمة ما لن تتخيل مطلقاً أنك تعرف ما لا تعرف ، إن في هذا وحده تتلخص كل قوة فني ، ولست أعرف شيئاً مما تعرفه كل هذه العقول الفذة المدهشة في أيامنا هذه وفيما سبق

حقاً ، ما أصدق ما نطق به سقراط من الحكمة ، حكمة أهديتها إلى أبنائي طلاب العلم الذين أدعو الله أن يقيهم سوء الادعاء والغرور ويهبهم من خلق العلماء ما يرفعهم إلى المستوى اللائق بمعايشة هؤلاء العظماء الذين أناروا للإنسانية طريق الرشد منذ فجر التاريخ

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذا النص بوضوح للقارئ العربي ، وهو نص من أكثر نصوص الفلسفة القديمة معاصرة اليوم .

أميرة حلمي مطر

ثياتيتوس أو-عن العلم - أوقليدس- تربزيون

أوقليدس: (١) ألسـت الآن قـادما من الـريف أى تربزيون ؟ أم قد مضى على رجوعك وقت ١٤٢
طويل؟

ت : رجعت منذ فترة طويلة. وكنت أبحث عنك فى ساحة المدينة (الأجورا) ودهشت
أنى لم أتمكن من لقاءك.

أ : ذلك لأنى لم أكن بالمدينة.

ب : أين كنت إذن ؟

أ : كنت فى طريقى إلى الميناء، حيث قابلتهم يحملون ثياتيتوس من معسكر
كورنثة إلى أثينا.

ت : حيا أم ميت ؟

أ : كاد يلفظ آخر أنفاس الحياة إذ أنه كان مصابا بإصابات خطيرة. فضلا على
جراحه كان يتألم من تلك العدوى التى انتشرت بين الجيوش.

ت : هل هى الدوسنتاريا؟

أ : أجل.

ب : أية خسارة كنا سنلقاها بفقدان هذا الرجل الذى تذكره.

أ : رجل شهم نبيل أى تربزيون، حيث إنى سمعت حالا ثناء عطرا على مسلكه فى
المعركة.

ت : ليس فى هذا الشئ عجيب، العجيب ألا يكون كذلك ولكن-لِمَ لم يأت ليستريح فى
ميجارا ؟

(١) (أ) تشير إلى إقليدس و(ت) تشير إلى تربزيون.

أ : لقد كان مسرعا في العودة إلى بيته، وقد دعوته ونصحته فلم يوافق، فرافقته، وفي عودتي تذكرت باندھاش تلك النبوءة التي كان سقراط قد تنبأها له قبل موته بفترة قصيرة. فقد قابل سقراط ثياتيتوس الذي لم يكن قد تجاوز بعد سن الصبا وتحدثا فأعجب سقراط به إعجابا شديدا، ولما زرت أثينا روى لي ما جرى بينهما من حديث وهو حديث جدير بأن تسمعه، وأكد لي أن هذا الصبي سوف يكون ذا شأن كبير إذا ما بلغ مبلغ الرجل.

ت : يبدو أن ما كان سقراط يذكره كان حقا، لكن ما حقيقة هذا الحديث الذي دار بينهما؟ وهل يمكنك أن تروييه علي؟

أ : كلا والله، فالذاكرة لا تسعف، لكني قد دونت ذكرياتي مباشرة تو رجوعي إلى ١٤٣ بيتي، وبعد ذلك بفترة، وفي وقت فراغي كنت أدون ما أتذكره، وكنت في كل مرة أعود فيها إلى أثينا أسأل سقراط من جديد عن كل ما كان يفلت من ذاكرتي وكنت أراجع عملي كلما عدت إلى هنا، وبذلك تم علي وجه الإجمال تدوين الحديث.

ت . حقا، فقد سبق لي أن سمعتك تروييه وكنت أنوي دائما أن أسألك إن تريني إياه رغم أنني قد أجلت ذلك حتى هذا الوقت. ولكن ما الذي يمنعنا من أن نراجعه الآن؟ فإنني بحاجة لأن أستريح بعد أن قدمت الآن من الريف.

ر : وهذا يوافقني لأنني بحاجة - أيضا - إلى الراحة بعد أن سرت حتى إرينوس مع ثياتيتوس. ولنرجع إلى البيت وليقرأه علينا غلامي أثناء استراحتنا.

ت : حسنا جدا.

منهج كتابة المحاوره :

أ : هاك الكتاب يا تربزيون ، وعلى أي حال ، فقد دونت الحديث لا بأسلوب الرواية بل بأسلوب المحاوره كما سمعته من سقراط ومن كانوا يتحدثون معه وهم ثيودوروس عالم الهندسة وثياتيتوس وقد أثرت ذلك الأسلوب كي أتجنب الاضطراب الذي ينشأ في الكتابة عند إقحام عبارات الراوى التي يذيل بها

سقراط شرحه مثل قوله: « وقد ذكرت » أو « وقد قلت » ورد محاوره ووافقه أو « لم يبع الموافقة » فهذا هو السبب الذى من أجله قد جعلت من كتابتى حوارا مباشرا بين سقراط وبين محاوريه وتخلصت من كل هذه العبارات.

ت : وإنك لم تفعل إلا ما هو صواب يا أوقليدس.

أ : لتأخذ الكتاب ولتقرأ يا غلام.

(الحوار : سقراط وثيودورس وثياتيتوس)

وصف ثياتيتوس :

س (٢): لو كنت أعنى بأهل قورينائية يا ثيودورس لسألتك أنباء ما يجرى هناك من أمور ، وعن رجال وعم إن كان من بين الشباب هناك من يبذل جهده فى علم الهندسة أو فى باقى فروع الفلسفة، لكنى أولى اهتماما أكبر لمن هم هنا على من هم هناك من الشباب. ولذا فإننى شديد الرغبة فى معرفة مَنْ مِنْ شبابنا ينبئ عن تميز فى هذه الموضوعات. فهذا هو ما أفحصه بنفسى وبقدر استطاعتى وأسأل عن هذه الأمور من أراه محط أنظار شبابنا.

وإن المجموعة التى تلتف حولك لكبيرة وإنك لأهل لذلك إذ فضلا على مواهبك العديدة فإن علمك بالهندسة يجعلك أولى بهذا الاهتمام، فإذا وجد بينهم شاب جدير بالذكر فإنك تسرنى لو أخبرتنى عنه.

ثيودورس : الحق يا سقراط ، إن اهتمامك يصادف موضوعا جديرا به إذا ١٤٤

ذكرت لك الصفات التى وجدتتها فى شاب من مدينتك، وقد كنت أخشى الحماسة فى الحديث عنه لو كان وسيما حتى لا أتعرض لتهمة التورط فى محبته- لكن لتسامحنى- فهو ليس وسيما إذ أنه يشبهك بأنفه الأفتس وعينه الجاحظتين وإن لم تكن ملامحه بوضوح ملامحك، وعلى ذلك فليس بى أى وجل من الكلام عنه- ولتعلم أنه من بين كل من استطعت مقابلتهم- وعددهم أكبر ممن أتعامل معهم- لم ألحظ عند أحد منهم طبيعة أفضل من طبيعته- فهو

(٢) س . سقراط.

مع سرعة تعلمه بشكل لا مثيل له يتصف بالهدوء الشديد ثم يجمع إلى ذلك الشهامة التي لا نظير لها ولا أظن أنه من الممكن أن تجتمع كل هذه الصفات لشخص واحد لأن الملاحظ عموماً أن من لهم هذه الفطنة وهذا الذكاء الحاد وهذه الذاكرة يتصفون بميل عنيف للغضب وهم بسرعة يتحدون في ثورات كقوارب بلا أشعة وفي طبيعتهم اندفاع يربو على ما فيهم من شجاعة، أما من هم أكثر هدوءاً فهم يتجهون إلى الدراسة ببطء وتمهل متثاقلين ومعرضين للنسيان، أما هو فإنه يتجه إلى الدراسة والبحث بهدوء ونفاذ سريع إلى المشكلات ويصمت أشبه بسريان الزيت الذي يمكنه من الوصول إلى هذه الإنجازات التي توصل إليها^(٣).

س : هذه أنباء مشوقة، فهو ابن من في مدينتنا؟

ت : قد سمعت الاسم لكن لا أذكره الآن ، ومع كل هذا هو قادم ضمن أولئك الثلاثة المتجهين نحونا، ففي هذه الساعة يأتي عادة هنوزملاؤه إلى الملعب الخارجي ليتدلخوا بالزيت، ويظهر الآن أنهم قد انتهوا من التدليك وأنهم قادمون إلى هنا، لتتفحصه قليلاً لعلك تعرفه.

س : أجل ، إنى أعرفه ! إنه ابن أوفرونيوس من سونيون، رجل على مثل الخلق الذي وصفت به الابن تماماً يا صديقي - وهو معروف أيضاً وقد ترك ثروة كبيرة - أما عن اسم الشاب فلست أعرفه.

ت : ثياتيتوس ، ياسقراط، هذا هو اسمه، أما عن ثروته فأظن أن بعض الأوصياء قد قضوا عليها، ومع ذلك فإن كرمه في مسائل المال لهو سمة من سماته المدهشة يا سقراط.

س : يبدو أنه من عنصر نبيل - لتدعه إلينا ليجلس هنا معنا.

ت : سوف أفعل على التو. أى ثياتيتوس. . إن لك دعوة هنا عند سقراط. .

س : أجل ، يا ثياتيتوس. فهكذا يمكنني أن أرى نفسي وجهاً لوجه فأعرف شكلي لأن ثيودورس يؤكد أنني أشبهك.

(٣) في محاوره القوانين ينشد أفلاطون تحقيق هذا التوازن في طباع الفلاسفة، انظر محاوره القوانين ٧٧٣-و.

ولو فرض أن كان مع كل منا قيثارته وأن ثيودورس قد أخبرنا بأنهما قد
ضبطتا على الصوت نفسه أكننا نصدقه أم كنا نفحصهما لنختبر معرفته
بالموسيقى التى تبيع له مثل هذا الكلام؟
ثيا : كنا نقوم بهذا الاختبار..

س : فإن وجدناه خبيرا أوليناه ثقتنا وإن لم يكن ألا نسلبه إياها؟
ثيا : بالضبط.

س : والآن، أظن إن كان هذا التشابه فى المحيا يثير اهتمامنا ألا يتعين علينا أن
نختبر إن كان يتحدث أيضا حديث الخبير فى التصوير؟
ثيا : هذا ما أعتقد.

١٤٥

س : هل يمكن أن يكون ثيودورس مصورا؟
ثيا : كلا على حد ما أعلم
س : ولا أيضا عالم هندسة ؟
ثيا : نعم هو كذلك بكل تأكيد يا سقراط.

س : وفلكيا وعالما بالحساب وموسيقيا وأستاذًا فى باقى فروع الثقافة؟
ثيا : أجل أظنه كذلك.

س : فعندما يقرر أن بيننا تشابها جسمانيا سواء كان هذا حقا أو باطلا فهل يستحق
كلامه اهتمامنا ؟
ثيا : ربما لا..

س : ولكن لنفرض أنه مدح فضيلة نفس أحدا أو حكمته، أليس من الواجب على من
يسمع هذا المديح أن يسرع إلى فحص الممدوح، وعلى من يمتدح أن يسرع
بدوره إلى اكتشاف حقيقة نفسه(٤)
ثيا : أجل بالتأكيد يا سقراط.

س : والآن إذن، يا عزيزى ثياتيتوس ، عليك أن تكتشف نفسك وعلى أن أفحص،

(٤) يتضح هذا رأى - أيضا - فى محاوره خارميدس (١٥٧-١٥٩) إذ يتبع وصف جمال خارميدس بالثناء على
حكمته - ولتحقيق هذا الثناء تبدأ محاولة تعريف الحكمة.

ولتعلم جيدا أن ثيودورس الذى ذكر أمامى مديحا لغرباء وأثنيين لم يمتدح أحدا مديحا مثل الذى وجهه إليك.

ثيا : إنه لشرف كبير ، يا سقراط ، لكن ربما قال ثيودورس هذا على سبيل المزاح !
س : ليس هذا ما يميل إليه ثيودورس ، ولا تحاول سحب موافقتك بزعم أنه كان يمزح ، إذ سوف يترتب على ذلك أن يحضر ليقسم لك على هذا رغم أن أحدا لا يمكن أن يشك فى صدق كلامه فلتثق بكلامه وتتمسك بموافقتك.

ثيا : سوف أفعل ما تراه.

س : والآن لتُجب علىّ ، هل تتعلم الهندسة على يدى ثيودورس ؟

ثيا . أجل .

س : والفلك والموسيقى^(٥) والحساب – أيضا ؟

ثيا : إنى أجتهد فى ذلك.

س : وأنا – أيضا – يابنى أفعل ذلك معه ومع غيره ممن أتوسم فيهم المعرفة بأى موضوع من هذه الموضوعات ، غير أنى وإن كنت على ثقة من معرفتى بها عموما إلا أنى أشك فى بعض التفاصيل التى أود أن أدرسها معك ، ومع من هم هنا – ولتخبرنى أليست الدراسة أن تصير أكثر حكمة فيما تدرسه ؟

ثيا : بكل تأكيد.

س : أليس بالحكمة Sophia يصير الحكماء حكماء ؟

ثيا : بلى

س . وهل يختلف هذا عن العلم ؟

ثيا : كيف يمكن هذا ؟

س : أو ليس العالم بالشئ هو الحكيم ؟

ثيا : بكل تأكيد .

س : أليس العلم والحكمة شيئا واحدا ؟

ثيا : بلى

(٥) كان علم الهارموى ، أو توافق النغم الموسيقى ، فرعاً هاماً من فروع دراسة الرياضيات

كيف نعرف العلم ؟

س : إن الذى يحيرنى ولا أستطيع أن أتصوره جيدا بذاتى يتلخص فى سؤال، فيم ١٤٦ يتلخص العلم؟ هل يمكننا الإجابة على هذا السؤال ؟ وما الذى تقولونه؟ من منا سوف يبدأ الكلام ؟ ولكن على المخطيء أن «يركع كالحمار» على حد قول الصغار حين يلعبون بالكرة. أما من ينجح فى هذا ولا يخطئ فسوف نتوجه ملكا علينا ، وليفرض علينا إجابة ما يروق له من أسئلة. ولكن لم هذا الصمت؟ هل جعلنى الحوار يا ثيودورس فظا رغم أنى متعجل فى أن أنشئ من الحوار الدائر بيننا أواصر صداقة واتفاقا متبادلا بيننا ؟

ثيودورس: ليس تعجلك هذا غلاظة ، يا سقراط ، ولكن عليك أن تطلب الجواب على هذه الأسئلة من أحد هؤلاء الشباب، اذ ليس لدى المقدرة على هذا النوع من الأحاديث اذ قد فاتنى تحصيله، وإنما يناسبهم ذلك وهم يستفيدون منه فائدة كبيرة. **حقا إن الشباب لقادرون على التقدم فى كل شىء** لقد حدثت ثياتيتوس فلا تتركه ولتواصل أسئلتك.

س : أسمع يا ثياتيتوس ما يقوله ثيودورس، وأظنك لا ترغب فى مخالفته إذ سيكون من الخطأ الشديد ان يخالف الأصغر طلب الحكيم الأكبر منه. هيا قدم إجابة جيدة وصريحة، أى شىء يبدو لك أنه العلم؟

ثيا : يجب علينا الطاعة ، يا سقراط ، ما دمت قد أمرت بذلك وإذا أخطأت فعليك أن تقومنى.

س : بكل تأكيد خصوصا ما دمننا قادرين.

ثيا : إنه يبدو لى، أولا، أن كل ما يمكن أن نتعلمه من ثيودورس هو العلم، كالهندسة وكل العلوم الأخرى التى ذكرتها الآن، ثم هناك فنون مثل فن الإسكافية وكل فنون الصناعات الآخرين سواء أخذتهم على الإجمال أو واحدا واحدا فهى فى رأى كلها علوم.

س . إجابة حسنة سخية، يا صديقى. . نسألك سببا واحدا فتعطينا الكثير، وتمنحنا المركب بدلا من البسيط.

ثيا : ماذا تعنى، يا سقراط ؟

س : ربما لا شيء، ومع ذلك سوف أشرح لك فكرتى، إنك تقصد بفن الإسكافية العلم الذى يعلمنا كيف نصنع الأحذية ؟

ثيا : هو بالضبط .

س : وبالنجارة العلم الذى يعلم صناعة المصنوعات الخشبية.

ثيا : وهذا - أيضا - صحيح.

س : وعلى الحالين فإنك تعرف الموضوع الذى تكون الصنعة علما به .

ثيا : أجل هو كذلك.

س : ولكن الذى سألناك عنه يا ثياتيتوس لم يكن هذا - لا موضوعات العلوم ولا ما عدد العلوم^(٦) لم تكن الفكرة التى نسألك عنها أن تحصي لنا العلوم، بل أن تعرف ما هو العلم فى ذاته، أليس لملاحظتى هذه معنى؟..

ثيا : على العكس، إنها صحيحة تماما. ١٤٧

س : لنبحث إذن فى هذه النقطة، لنفرض أننا سئلنا عن شيء تافه بسيط، مثلا ما هو الطين؟ ألا يكون من السخف أن نجيب بأنه يوجد طين لصانعى الفخار وطين لبنائى الأفران وطين صانعى الطوب ؟ ألا نتعرض فى هذه الحال للسخرية؟؟

ثيا : هذا جائز.

س : والذى يدعو للسخرية ، قبل كل شيء ، أن تظن المتحدث سوف يفهم شيئا ما إذا ذكرنا له بالإضافة إلى كلمة الطين اسم صناع الدمى أو آخرين غيرهم فى إجابتنا- هل تظن أننا نفهم شيئا من سماع اسم ما لا نعرف ما هو موضوعه. ثيا : كلا أبدا.

س : إذن فلن نفهم شيئا من كلمات «علم الإسكافية» ما دمنا لا نعرف ما هو العلم؟. ثيا : كلا طبعاً.

(٦) تقارن هذه المحاولات المبدئية بالمحاولات التى قدمت بهذا الصدد فى محاوره مينون عند تعريف الفضيلة (مينون ٧١-٧٧) ويبدأ ثياتيتوس يحصر العلوم، ولكن سقراط يطالبه بذكر مثال واحد للتعريف فيقدم ثياتيتوس تعريفه للجذور التربيعية.

س : ولن نفهم ماذا يعنى علم الإسكافية ولا أى فن آخر ما دام ليس لدينا أى فكرة عن العلم.

ثيا : هذا صحيح.

س : فمن العبث إذن أن نجيب على من يسأل عن ما هو العلم بذكر اسم أى فن كان. إن الإجابة سوف تقتصر على ذكر علم معين بشيء معين، فى حين أن السؤال كان يعنى شيئاً آخر

ثيا : هذا ما يبدو صحيحاً.

س : . كذلك بعد أن قدمنا إجابة سطحية فسوف ندور فى دورة لا نهاية لها، فالسؤال عن الطين مثلاً له إجابة سطحية وبسيطة، أن تقول: إن الطين هو من التراب المعجون بالماء بصرف النظر عن استخدامه.

ثيا : وعلى ذلك ، يا سقراط ، فإن السؤال يبدو لى الآن سهلاً، إنه يشبه ذلك الذى خطر لنا، أنا وسميك سقراط عندما كنا نتحدث منذ وقت بسيط.

س : أى سؤال يا ثياتيتوس؟

مثال من الأطوال اللامتناظرة القياس^(٧) LES INCOMMENSURABLES

ثيا : ها هو ثيودورس الذى قام بتوضيح مسائل متعلقة بالجذور التربيعية لنا، وقد بين على وجه الدقة أن الجذور التربيعية لمربعين مساحتهما ثلاثة أقدام مربعة وخمسة أقدام مربعة لا تكون أطوالها أو طول أضلاعها مضاعفات الخط الذى يمثل الواحد الصحيح أو القدم، وقد سار على هذا النهج متخذاً أمثلة له من الجذور واحداً فواحداً حتى بلغ جذر المساحة المساوية لسبعة عشر قدماً، ثم توقف عند هذا الحد لسبب ما، وقد خطر عندما لاحظنا إن عدد هذه الجذور

(٧) الترجمة الحرفية غير مقيسة معاً، غير مشتركة، لا تعد أو الأعداد الصماء. انظر المصطلحات العلمية للمجلس الأعلى للعلوم ١٩٦٢، مجموعة رقم ١ مصطلحات علم الرياضيات ص ١٦٦

وخلص الفكرة هنا ترجع إلى رد الأعداد إلى أشكال مناظرة لها ، فأعداد مربعة هى التى يناظرها مربعات طول أضلاعها أعداد صحيحة أو مضاعفات الواحد الصحيح وأعداد مستطيلة يكون الشكل المناظر لمساحتها طول أضلاعه ليست مضاعفات الواحد الصحيح، وكذلك فسر المتناظر القياس (Commensurable) واللامتناظر القياس INCOMMENSURABLE

التربيعية لا نهائى أن نصل إلى مصطلح واحد كلى يمكن أن نشير به إلى كل هذه الجذور.

س : وهل وجدتم مصطلحا مناسباً؟

ثيا : أظن هذا ولكن أود أن أعرف رأيك.

س : لتستمر فى كلامك.

ثيا : لقد قسمنا الأعداد إلى فئتين، فئة الأعداد الناتجة من ضرب عدد فى نفسه وقد شبهناها بالشكل المربع وسمينا هذا العدد مربعاً ومتساوى الأضلاع.

س : حسناً .

ثيا : أما أى عدد من الأعداد الأخرى مثل الثلاثة أو الخمسة أو أى عدد لا يكون حاصل ضرب عدد فى نفسه لكن يكون أحد معامليه ^(٨) أكبر أو أصغر من المعامل الآخر بحيث تكون أضلاع الشكل المناظر له غير متساوية فقد شبهناه بالشكل ١٤٨ المستطيل وسميناه عدداً مستطيلاً ^(٩) *

س : عظيم وماذا أيضاً ؟

ثيا : وقد سميناه الخطوط التى تكون الجوانب الأربعة لمسطح متساوى الأضلاع ^(١٠) بالأطوال ^(١١) فى حين سميناه تلك التى تكون مساحة مربعاتها مساوية لمساحة مستطيلات فقد سميناهما بالجذور ^(١٢) ذلك لأنها متناظرة مع الأخرى فى مساحة المسطح وليس فى طول الأضلاع ، وهناك فضلاً على ذلك تمييز آخر من النوع نفسه بالنسبة للمجسمات ^(١٣).

س : ليس هناك أفضل من ذلك ، يا أصدقائى الشباب ، وإنى لعلى يقين من أنه لا يمكن لأحد أن يتهم ثيودورس بأنه لا يذكر الحقيقة.

ثيا . لكننى يا سقراط لا أقوى على إجابة سؤالك عن العلم كما أجبت على مسألة

* مثل ٢٥/١٦/٩/٤. وهذه أعداد لها جذر تربيعى أما الأعداد الصماء فليس لها جذر تربيعى كامل

(8) Factor.

(9) Rectangle-oblong.

(10) equilateral.

(11) lengths

(12) surds-roots.

(13) solids.

الطول والجذر، ويبدو أنك تبغى شيئاً من هذا القبيل وعلى هذا فالذى يظهر أن
ثيودورس لم يكن على حق فيما قاله عنى على عكس ما تقول
س : ولم يكون كذلك؟ هل إذا أخذ أحد يثنى على قدرتك فى العدو ، وأعلن أنه لم يلق
مثيلاً لك فى العدو ، ثم تصادف أن دخلت فى سباق مع أعظم العدائين وهو فى
أوج قواه فغلبك، فهل تظن الثناء عليك قولاً زوراً؟
ثيا : كلا، لا أظن.

س : حسناً ، فكما ذكرت الآن هل تتصور أن معرفة طبيعة العلم أمر هين ؟ أليست من
أصعب الأمور؟ .
ثيا : أجل من أصعب الأمور.

س : لتثق ، إذن فيما ذكره .ميك ثيودورس ، ولتشحذ ذهنك فى البحث عن تعريف
للعلم، كما تفعل فى أى موضوع آخر وكل ما فى حوزتك من جهد.
ثيا : إن كان هذا يتوقف على جهدى فإن الحقيقة سوف تبرز إلى النور.

س : فإلى الأمام إذن على الطريق نفسه الذى أحسنت اختياره ولتتخذ من مثال
الجذور نموذجاً تحتذيه فى إجابتك وكما توصلت إلى تعريف واحد يجمع كل
هذه الكثرة فلتحاول الآن أن تجد صيغة واحدة تنطبق على أنواع المعرفة
العديدة.
ثيا : وإنى لأؤكد لك ، يا سقراط ، أنى وقد حاولت مراراً ذلك البحث مدفوعاً بأسئلتك
التي بلغنى نبؤها، ولكننى للأسف لم أقتنع بتلك الإجابات التي توصلت إليها
كما أنى لم أجد فى الإجابات التي سمعت بها الدقة التي تطلبها، ولم أتخلص
بعد من حيرة المعرفة.

التوليد :

س : إنك لتشعر بالآلام الامتلاء لا بالفراغ يا عزيزى ثياتيتوس. لأنك لست خاوياً بل
حامل.

ثيا : لست أدري يا سقراط، وإننى لا أفعل شيئاً سوى أن أذكر لك ما أعانيه.
س : أهو كذلك، أيها المهدار! ألم تسمع ما يقال من أننى ابن قابلة من أمهر وأعظم

القبالات «فايناريت» ؟

ثيا : لقد سمعت بذلك.

س : ألم تسمع ، أيضا ، أننى أمارس الصنعة نفسه ؟

ثيا : كلا، أبدا.

س : لتعلم جيدا، ولاتذهب تضيع هذا الكلام لدى الآخرين، لأنهم بعيدون جدا، يا صديقى ، عن تصديق أنى أملك هذا الفن ولأنهم لا يعرفون، فهم لا ينسبون إلى هذا الموضوع، بل يقولون إنى رجل غريب الأطوار ولا أبعث فى عقول الناس إلا البلبلة. ألم تبلغك هذه الأنباء .

ثيا : نعم قد سمعت ذلك.

س : هلا فسرت لك السبب.

ثيا : أرجوك أن تفعل.

س : لتتذكر بنفسك عادات القابلات وسوف تدرك بسهولة ما أبغى شرحه، وأظنك تعلم طبعا أنه طالما كانت القابلات قادرات على الحمل والولادة فهن لا يمارسن مهنة التوليد، وإنما يمارسنها بعد أن يفقدن هذه القدرة.

ثيا : بكل تأكيد.

س : ويقال إن التي قدرت عليهن هذا الأمر هى «أرتميس» راعية الولادة فرغم أنها لم تلد قد أوكل إليها رعاية الولادة ولم تهب قدرة التوليد للعاقرات، إذ إن الطبيعة الإنسانية من الضعف بحيث لا يمكن أن تضع الفن حيث لا توجد الخبرة ولكنها وهبت هذه الصنعة لمن يمنعهن السن من الولادة تكريما لمشابهن لها.

ثيا : أظن هذا صحيحا.

س : أليس صحيحا - أيضا - بل ضروريا أن تميز القابلات بين من لديهن حمل وبين من ليس لديهن حمل من النساء ؟

س : وإن القابلات ليعرفن - أيضا - بواسطة العقاقير والدعوات أن يثرن الآلام أو يسكننها بإرادتهن وأن ييسرن الولادات العسرة وإذا تراءى لهن أن يسببن أجهاض الثمرة التي لم تنضج فإنهن يحدثن الإجهاض - أيضا.

ثيا : هذا صحيح.

س . ألم تلاحظ - أيضا - هذا الأمر وهو أنهم أكثر الناس خبرة باختبار الزيجات،
إذ لهن مهارة فائقة فى التعرف على أى النساء ينبغى لها أن تتصل بأى
الرجال كى تضع أفضل الأبناء؟

ثيا : لم أعرف ذلك أبدا.

س : ولتعلم أنهم فخورات بهذا العلم أكثر من معرفتهم بقطع الحبل السرى، ولتنظر
فى هذا أيضا ألا يشبه هذا الفن رعاية الثمار وجنيها من الأرض ومعرفة أى
النبات وأى البذور تصلح لأية أرض؟

ثيا : إنه يرجع طبعا إلى هذا الفن.

س : وعندما يتعلق الأمر بشئون المرأة، ألا تظن يا صديقى أن فن بذر البذور يختلف
عن فن الحصاد.

ثيا : يختلف طبعا.

س : كلا ، فالقابلات بدافع من احترامهن لأنفسهن قد كرهن صنعة القوادات بسبب
تلك التجارة التى ينقصها الشرف لذلك فهن يخشين التعرض لإتمام الزيجات
خشية الاتهام بممارسة هذا العمل ومع ذلك فإن القابات الحقيقات هن أقدر ١٥٠
الناس على إتمام الزيجات الناجحة.

ثيا : يبدو أن هذا صحيح.

س : وإلى هذا الحد ينتهى فن القابات ولكنه فن لا يسمو إلى الوظيفة التى أقوم بها،
ألا يتصادف مثلا أن تحمل النساء أحيانا نسلا حقيقيا ، وأحيانا أخرى يحملن
أوهاما زائفة، إن التمييز بين النوعين من الحمل يحتاج لمجهود، فإن تصادف
ووجد هذا التمييز بين الحقيقى والزائف فإنه يكون أعظم وأبدع أعمال
القابات.

أست توافقنى على هذا رأى؟

س : أجل هو كذلك.

س : وفنى فى التوليد له الصفات العامة نفسها التى لفنهن والفرق بينى وبينهن،

أنى أولد الرجال لا النساء، فإننى أتولى النفوس لا الأجسام، والخاصة المميزة للفن الذى أمارسه هو أنه قادر على إثبات نوع التفكير الناتج من الشباب هل هو شبح وهمى أم هو ثمرة الحياة والحقيقة وأن لى النقص الموجود نفسه عند القابلات، إذ ليس فى مقدورى أن أولد الحكمة، واللوم الذى وجهه إلى الكثيرين صحيح وهو أنى إذ أوجه الأسئلة للغير فإننى لا أقدم رأيي الخاص فى أى موضوع، لأننى لا أملك الحكمة. وهاك السبب فى ذلك: إن توليد الآخرين هو فرض على من الإله، أما قدرة الإنجاب فقد سلبت إياها، إذ لست حكيما على أى نحو كان، وليس لدى أى اكتشاف أعده مولودا لنفسى، غير أن من بين من يتعاملون معى لأول مرة من يبدو أنهم لا يعرفون شيئا على الإطلاق، غير أنهم بقدر ما يتقدمون معى فى الحوار ويقدر ما ينعم عليهم الإله يتقدمون بسرعة فائقة سواء فى نظر أنفسهم أو فى نظر الغير، ذلك رغم أنهم فى الواقع لم يتعلموا منى شيئا فالحقائق العديدة الجميلة التى أخرجوها إلى النور إنما تم لهم اكتشافها فى أنفسهم أما عن ولادتها فترجع إلى الله وإلى عملى، والدليل على ذلك أن كثيرين قد أنكروا على هذا إذ ظنوا ذلك فى مقدرتهم ولم يكثرثوا بى فاقتنعوا أو أقنعهم الغير أن يتركونى أسرع مما كان ينبغى فتركونى وأجهضوا ١٥١ فكرهم بسبب اتصالات سيئة، بل أكثر من ذلك، غدوا من خاصتهم بأغذية سيئة سببت مرضهم فأحلوا الباطل والوهم محل الحق فلم ينتهوا إلا إلى الجهل فى نظر أنفسهم ونظر الغير ومن بين هؤلاء أرستيد بن ليزيماك وكثيرون غيره. وقد أتوا إلى أحيانا يسترضوننى بسخاء فكانت الحكمة الإلهية التى تعودنى من أن إلى آخر تنهانى عن أى صلة ببعضهم، فى حين كانت تسمح لى بالاتصال بغيرهم وكان هؤلاء الذين يأتوننى يعانون مثل ما تعانيه النساء من ألم الوضع فكانوا يحسون تلك الآلام ويمتلئون بالحيرة التى تقض عليهم النوم ليلا ونهارا وتفوق آلام تلك النسوة.

ولفنى القدرة على إثارة هذه الآلام وعلى تهدئتها. وهاك إذن العلاج الذى أقدمه فى حالتهم ولكن يوجد ياثياتيتوس من أرى أن ليس لولادتهم ثمرة

فأعرف أنهم لا حاجة بهم إلى وكنت أحس بفضل الله أى نوع من الاتصال سوف يفيد، لذلك فقد وثقت صلة الكثيرين منهم ببروديقوس وبغيره من حكماء الرجال وعظمائهم ولكن لم أطلعك على كل هذه التفصيلات يا عزيزى؟ ذلك لأننى أظنك تحس بالآلام وضع، فلتسلمنى نفسك كما لو كنت تسلمها لابن قابلة هو نفسه يولد، ولتحاول أن تجيب على أسئلتى بقدر ما تستطيع من دقة ، وإذا وجدت عند فحص إجاباتك وجود وهم ضال وانتزعته لأقذف به بعيدا فلا يصيبك الفزع الذى يصيب الوالدات الشابات اللاتى يفزعهن ما يهدد أولادهن البكر ، فهذه هى حال كثيرين قد أحسوا بهذا الشعور نحوى وبلغ بهم الأمر أن هموا ينهشوننى كلما حاولت انتزاع أفكارهم الخاطئة أيها الفتى الرائع. وهم لا يتصورون أبدا أنى أفعل هذا بحسن نية، بل لا يتصورون أنه ما من إله يود بالبشر سوءا وإنى أيضا لا أعاملهم بطوية سيئة، إما أن أوافقهم على الباطل وأن أخفى نور الحق فهو أمر قد حرمته على كل قوانين الآلهة. لنأخذ المسألة من أولها يائياتيتوس، ولتحاول أن تذكر لى فيم يتلخص العلم ولتحذر جيدا أن تتوهم أنك لست قادرا على ذلك؟ فإذا شاء الله ، ووهبك عزيمة الرجال فإنك ولا شك قادر على ذلك.

أول تعريف للعلم

أول تعريف للعلم

ثيا : الحق ، يا سقراط ، أنه ما دمت تحثني بقوة فسوف يخجلني ألا أبذل كل جهدي لأذكر لك كل ما يجول في خاطري، إذ يبدو لي أن من يعلم شيئاً يحس بما يعلمه وفي ظني أن العلم ليس شيئاً آخر سوى الإحساس.

س : هذا جميل ونبيل يا فتاي، وعلى هذا النحو ينبغي التعبير عن الرأي ولنمض معا لنعتبر أن كان هنا ثمرة حقيقية أو وهم أجوف، أتقول إن الإحساس هو العلم ؟

ثيا : أجل.

أول تفسير : الإنسان المقياس عند بروتاجوراس :

س : إنك لا تقول لغوا فيما يتعلق بموضوع العلم، إنه كلام بروتاجوراس وإن اختلفت ١٥٢ الصيغة قليلا، لكن المعنى واحد فهو يقول ما معناه : «إن الإنسان هو مقياس كل شيء» فهو مقياس وجود الموجود منها ومقياس لا وجود غير الموجود منها، ولعلك قرأت هذا بلا شك؟

ثيا : لقد قرأته مرارا

س : ألا يفسر هذا القول على النحو الآتي . كما تظهر لي الأشياء تكون بالنسبة لي وكما تظهر لك تكون بالنسبة لك ^(١)لأنى وإياك بشر.

ثيا : إنه يذكر هذا المعنى.

س : من المرجح في الواقع أن رجلا حكيما لا يقول هراء ولنتابع فكره. ألا يوجد لحظات تحدث الريح فيها قشعريرة لأحدنا. في حين لا تحدث شيئا للآخر وتكون بالنسبة للواحد لطيفة. وبالنسبة للآخر عاصفة؟

(١) نظرية بروتاجوراس تؤكد أن الإحساس يولد صورة PHANTASIA وهذا هو ما يحده في أول محاورة إقراطيلوس ٣٨٦.

ثيا : هذا مؤكد

س : فعلى أى نحو تكون الريح فى هذا الوقت فى حد ذاتها ؟ أتقول عنها باردة أم غير باردة ؟ أم توافق بروتاجوراس على رأيه بأنها باردة للذى يقشعر وأنها ليست كذلك بالنسبة للآخر؟

ثيا : ربما يكون كذلك. . .

س : ألا تظهر للواحد على نحو معين ، وللآخر على نحو آخر.

ثيا : أجل.

س : وأن تظهر له، ألا تعنى أنه يحس بها؟

ثيا : بالفعل.

س : فالمظهر والإحساس شىء واحد وهذا ينطبق فى حالة الإحساس بالحرارة أو ما شابهها من حالات أخرى، فكما يحس كل واحد تكون الأشياء بالنسبة له.

ثيا : هذا مرجح.

س : فليس هناك إذن من إحساس إلا بما هو موجود، وما دام الإحساس علما فهو غير خاطئ.

ثيا : هذا هو ما يبدو.

(ثانى تشبيه : التغير الكلى)

س : بحق ربات الإلهام ^(٢) أليس هذا الرجل بروتاجوراس خلاصة الحكمة ؟ أو لم يقدم للعامة مجازا فى حين علم الحقيقة لأتباعه سرا؟

ثيا : ماذا تعنى ، يا سقراط ؟

س : سأذكر لك الموضوع فهو ليس بأمر تافه – إنه يؤكد أنه ليس هناك ما هو فى ذاته وبيداته أو يمكن تسميته باسم معين أو بصفة معينة، بل على العكس إذا ما سميته كبيرا فإنك سرعان ما تجده صغيرا، وإن قلت ثقيلًا ظهر خفيفا وكذلك بالنسبة لكل شىء إذ لا يوجد شىء واحد محدد أو ذو صفة ثابتة على أى حال من الأحوال، وكل ما نصفه بالوجود إنما هو فى صيرورة وحركة وامتزاج

(٢) LES GRACES فى اليونانية CHARITES وهن ربات الجمال والإلهام فى الفن، عددهن ثلاث

متبادل، ووصفه بالثبات هو وصف مضلل إذ لا شيء موجود بل كل شيء يصير. ولنقل : إن كل الفلاسفة ما عدا بارمنيدس قد انتهوا على وجه الإجمال إلى تلك النتيجة وهم بروتاجوراس ، وهيراقليطس ، وأنبادوقليس ، أما من الشعراء فاببخارموس أعظم أساتذة الكوميديا ، وهوميروس أعظم أساتذة التراجيديا. وعندما يقول هذا الأخير : «إن المحيط منشيء الآلهة ، وأن أهمهم تيتيس» فإنما يعنى أن كل الأشياء ناتجة عن السيلاَن FLUX وعن حركة التغير-أليس هذا هو ما يعنيه؟^(٣).

ثيا : أجل بالتأكيد.

س : فمن، إذن، يستطيع بعد هذا الكلام أن يثير أية معارضة ضد جيش يقوده ١٥٣ هوميروس بغير أن يتعرض للسخرية ؟

ثيا : إنه أمر صعب يا سقراط .

س : بالتأكيد يا ثياتيتوس ما دام هناك - أيضا - أدلة مؤكدة تستند إليها القضية التي مؤداها أن الحركة هي مصدر الوجود والكون، وأن السكون هو مصدر اللاوجود والفساد. وهي أن الحار والنار يولدان كل الأشياء وإنهما بدورهما يصدران عن الحركة وعن الاحتكاك FRICTION أليس كلاهما مولدا للنار؟

ثيا : نعم كلاهما.

س : بل إن جنس الأحياء لمدين لها بنشأته.

ثيا : طبعاً بالتأكيد.

س : أليس صحيحاً - أيضاً - أن صحة الجسد تفسد بالسكون والكسل وأن الرياضة والحركة هي التي تحفظها؟

ثيا : أجل، هو كذلك.

س : أليس التعليم واللاكتساب حركة تهب النفس العلم وتحفظ صحتها وسلامتها؟

(٣) عرض أفلاطون هذه النظرية التي تعمم مذهب هيراقليطس في محاوراة إقراطيلوس، لأول مرة (٤٠١-٤٠٢) وقد استمدّها من بعض التعليقات المجازية على هوميروس، وفي محاوراة إقراطيلوس لم يذكر أنبادوقليس ولا إبيخارموس، بل هوميروس وهيزيود.

وأليس السكون وعدم التمرين والدراسة يفقدانها العلم وينسيانها ما سبق أن تعلمته؟

ثيا: بالطبع.

س: فالحركة - إذن - هي الخير سواء للنفس أو للجسم.

ثيا: هذا واضح.

س: ألا أذكرك ، أيضا - أن الركود في المياه والهواء يحدث الفناء ، في حين تحقق الحركة النضارة؟ هل أتمم البرهان بأن أثبت لك أن هوميروس لم يرد أن يقول السلسلة الذهبية سوى الشمس فهي طالما تتحرك في قبة السماء يستمر كل شيء في الوجود سواء عند الآلهة أو عند البشر، ولكن إذا حدث وسكن الكل كما لو تقييد فسوف يخرب كل شيء ويفنى العالم؟

ثيا: إنني أوافقك ، يا سقراط ، على هذا التفسير.

س: وهاك يا عزيزي ما ينبغي أن تفكر فيه، إن ما نسميه لونا أبيض ليس شيئا متميزا في ذاته خارج عينيك ولا هو فيهما ولا ينبغي أن نضعه في مكان ما وإلا فإنه سوف يكون في مكان ما وسيكون ثابتا بدلا من أن يدخل في صيرورة شاملة.

ثيا: وكيف يكون ذلك ممكنا؟

س: لنتابع الأدلة بحيث لا نجعل لشيء ما وجودا في ذاته ولذاته فسوف نرى أن الأسود والأبيض وكل الألوان الأخرى إنما تحدث من ملاقات العينين بنوع معين من حركة النقلة^(٤) فما تصفه بأنه هذا اللون أو ذاك لا يرجع إلى العين التي تصادفه بل إلى شيء وسيط بينهما وهو خاص بكل مدرك من المدركين المتعديين له، فإن لم يكن كذلك فهل تقول : إن اللون يبدو لكل ما أو لأي حيوان آخر كما يبدو لك؟

ثيا: كلا والله لا أظن ذلك.

س: فهل يظهر الشيء الذي يعجبك لرجل آخر بالمظهر نفسه الذي يظهر به لك؟

١٥٤

(٤) النقلة : TRANSLATION-PHORA

وهل يمكنك التأكد من ذلك فى حين أنه حتى بالنسبة لك أنت لا يظهر شىء ما على نحو واحد مادمتم أنت نفسك لا تظل على حال واحدة؟
ثيا: أظن أن الرأى الآخر أكثر قبولا.

س: فإذا كان ما نقيس به أو ما نلمسه كبيرا أو أبيض أو حارا فإنه لن يتغير إذا ما ارتبط بشخص آخر، ومن جهة أخرى إذا كان للمقياس أو للذى نلمسه صفة معينة أو غيرها فلن يحدث إذا كانت الأشياء موجودة على نحو ثابت فسوف تكون الأحكام التى تنتهى إليها غريبة ومضحكة، كما كان بروتاجوراس يقول أو أى إنسان يتمسك بآرائه. .

ثيا: وكيف وأى أحكام تعنى بكلامك؟

س: دعنى أقدم لك مثالا بسيطا أوضح به ما أعنيه: لنفرض أننا قارنا ست عظام بأربع فإن الستة تكون أكثر من الأربعة، بل أقل من ضعفها بالنصف، فى حين إذا قارنت الستة باثنى عشر فإن العشرة تكون أقل منها بالنصف فهل يمكن أن تقول غير ذلك؟

ثيا: كلا بالطبع.

س: وإذا فعلى سؤال بروتاجوراس أو غيره: أى ثياتيتوس إن صار شىء أكبر عددا ألا يعنى هذا أنه يزيد؟ بم تجيب؟

ثيا: إذا أجبت، يا سقراط، بما يناسب المسألة الحاضرة فسوف أجيب بالنفى، أما إذا وضعت فى اعتبارى السؤال السابق فسوف أجيب بنعم لأتجنب التناقص.

س: حسن جدا بحق هيرا فهى إجابة ملهمة، وأظنك إذا أجبت بالإيجاب فإنك تؤكد عبارة يوريبيدس «اللسان لا يلام، أما العقل فلا».

ثيا: هذا صحيح.

س: إذا كنت وإياك من قبيل هؤلاء الماهرين الحكماء الذين يمحسون الأفكار العميقة بحثا وتنقيبا لكنا سمحنا لأنفسنا بتعرف معارضة الأدلة بعضها بعضا على طريقة السفسطائيين، لكننا قوم بسطاء وكل ما نبغيه أن نعرف ما يدور فى أذهاننا من أفكار فى علاقتها المتبادلة وعم إن كانت متفقة فيما بينها أو متناقضة؟.

ثيا : هذه هى بالتأكيد رغبتى.

س : وهى رغبتى - أيضا، فإذا كان الأمر كذلك، ألا يجدر بنا أن نعيد البحث فى سلام وهدوء وننقد أنفسنا بصدق ونتساءل عم يمكن أن تكون هذه الرؤى التى تظهر لعقولنا؟

١٥٥

لنبحث أولا فى هذه القضية . وهى أنه لا شىء يكبر أو يصغر سواء فى الحجم أو فى العدد طالما ظل مساويا لنفسه: أليس هذا صحيحا؟

ثيا : بلى.

س : وثانيا: وإن ما لا يضاف إليه ولا يقتطع منه لا يكبر ولا يصغر بل يظل مساويا لنفسه.

ثيا : هذا مؤكد.

س : ونسأل ثالثا: هل يمكن لما لم يكن موجودا ثم وجد بعد ذلك ألا يكون قد جرت عليه صيرورة؟

ثيا : يبدو أن غير هذا مستحيل.

س : هناك إذن ثلاث قضايا قد اتفقنا عليها، ومع ذلك ما زالت تثير فى نفوسنا مشكلة، فسواء بحثنا فى مشكلة العظام أو عندما أقول إننى فى السن التى أنا فيها لم يحدث لى نمو ولا تغير ولكن فى غضون سنة أصبحت أضال منك بعد أن كنت أطول منك لا لأنى فقدت شيئا من حجمى، بل لأنك أنت قد نموت أكثر، فالظاهر أنى قد أصبحت غير ما كنت عليه سابقا رغم أنه لم يحدث لى تغير ولم أفقد شيئا من حجمى لأن ما لا يتغير يستحيل ألا ينتهى إلى هذه النتيجة فهل تقبل الأمثلة الحالية بغير حاجة إلى مزيد منها؟ ألا تتابع يا ثياتيتوس؟ أظنك على الأقل لست عديم الخبرة بمثل هذه المسائل.

ثيا : بل انى أشهد الآن ، ياسقراط ، أن دهشتى تفوق الخيال عندما أسأل نفسى عن معنى هذا، بل أظل ساعات أبحث فيها فيصيبنى الدوار.

س : إن ثيودورس ، ياعزيزى ، لم يخطئ فى تقديره لك، وهذا الشعور بالدهشة من علامات الفلاسفة، بل ليس للفلاسفة من مصدر غيره وإن من جعل من إيريس

Iris (٥) ابنة لثوماس Thaummas لمدرک تماماً حقيقة الصلة بينهما، ولكن أبدأت تفهم ما يترتب على النظرية التي نسبناها إلى بروتاجوراس من نتائج أم ليس واضحاً بعد ؟

ثيا : لا أظننى قد فهمت بعد.

س : أأست ترحب ، إذن ، بأن أعاونك على أن تتغلغل فى فكر رجل أو رجال ممتازين حتى « تصل إلى لب أفكارهم؟

(التشبية الثالث) النسبية المطلقة

ثيا : كيف لا أوافقك موافقة لا حد لها يا سقراط ؟

س : لتنظر جيداً ، ولتحذر من أن يسمعنا من لم يرتد الأسرار وأعنى بهم هؤلاء الناس الذى لا يسلمون بالوجود إلا لما يكون قيد قبضتهم، أما ما لا يقع تحت بصرهم ١٥٦ من أفعال وأحداث فإنهم لا يعترفون بحقيقته.

ثيا : إنك تتحدث عن أشخاص جامدين منفردين يا سقراط.

س : إنهم ، يا بنى ، بعيدون جداً عن التأثير بربات الفن، ولكن سوف أعرض عليك أسرار من هم أكثر منهم تهذيباً. فالمبدأ الرئيسى الذى تعتمد عليه النظريات التى سوف نعرضها يتلخص فى الآتى :

أن الكل هو حركة وليس شيئاً آخر سواها، وإن هذه الحركة تتخذ شكلين كليهما لا نهائيان، أحدهما له قوة الفعل أما الثانى فله قوة الانفعال^(٦)، ومن اقترابهما واحتكاكهما المتبادل ينشأ عدد لا نهائى من الآثار الناتجة على شكل أزواج توائم، الأول هو المحسوس والآخر هو الإحساس الذى يتفتح وينشأ فى الوقت نفسه مع المحسوس، وللإحساسات أسماء عندنا، البصر والسمع والشم والإحساس بالبرودة والحرارة أو باللذة والألم أو الرغبة والخوف وحسبنا ذكر هذه، أما ما ليس لها اسم فعددها لا نهائى وإن استطعنا تسمية العديد منها، أما

(٥) يرمز لها بقوس قزح وهى ابنة ثوماس - الدهشة - وحاملة رسائل الآلهة.

(6) Poeim, agir - Paschein, Pâtir .

عن الجنس الآخر للمحسوس فانه بدوره يطابق بين المولود التوأم والإحساسات المطابقة له واحدة بواحدة، فبالنسبة للإبصارات المتنوعة تتنوع الألوان تنوعا مطابقا لها، وبالنسبة للسمع توجد الأصوات، وللإحساسات الأخرى باقى المحسوسات المرتبطة بها بالطبيعة، فما الذى توضحه لنا هذه الأسطورة يا ثياتيتوس فيما يتعلق بالقضايا السابقة ؟ هل لديك أية فكرة؟

ثيا: ولا واحد ، يا سقراط.

س: لتنتبه إذن لترى كيف نصل إلى نهاية المطاف. وخلاصة المعنى إن كل شىء يتحرك غير أن الحركة قد تكون سريعة أو بطيئة وطالما كانت الحركة بطيئة فإنها تدور فى مكانها نفسه وفى حدود ما يجاورها فتولد ناتجا عنها ولكن هذا الناتج بعد أن يتولد على هذا النحو يصبح أكثر سرعة ، لأنه ينتقل من مكان إلى آخر ، فبمجرد ، مثلا ، أن تلتقى العين بالموضوع المناسب يتولد البياض والإحساس به معا وكلاهما ما كان ليوحد ما لم يحدث التقاء بين العاملين المتسببين فى حدوثهما، فبفضل الحركة التى تتم فى مكان متوسط بين البصر الصادر عن العينين والبياض الصادر عن الشئ المنتج للون، تمتلئ العين بالرؤية فهى تبصر عندئذ وتصير عينا مبصرة، فى حين أن الفاعل الآخر فى إنتاج اللون يمتلئ بالبياض فلا يصبح بياضا، بل شيئا أبيض: سواء كان خشبا أو حجرا أو أى سطح قابل لأن يتلون بهذا اللون وكذلك ينبغى أن يكون الأمر فيما يتعلق بالجاف وبالحار وبكل الصفات التى ينطبق عليها التفسير نفسه: إذ لا شىء فيها له وجوده فى ذاته وبذاته ، كما سبق أن ذكرنا، وبواسطة ١٥٧ الاتصال المتبادل يتم لكل شىء حركته وصيرورته وتنوعه ولا يمكن أن نتصور أن شيئا واحدا يمكن أن يتصف بأنه فاعل أو منفعل بغير الإشارة إلى الطرف المقابل له ولا يمكن لشيء أن يكون فاعلا ما لم يتحدد بالمنفعل ولا منفعلا بغير أن يكون له اتصال بالفاعل. وما يكون فى هذا الاتصال فاعلا قد يظهر فى علاقة أخرى جديدة منفعلا. والنتيجة التى ننتهى إليها من كل ذلك هى تلك التى ذكرناها بادئ الأمر: إنه لا شىء يظل واحدا قائما بذاته ، وإنما هو فى

عملية صيرورة دائمة بالنسبة للغير، والوجود هو حد ينبغي حذفه. ومن نافلة القول أن نقول : إننا قد تورطنا بحكم العادة والسهولة إلى استخدام هذا اللفظ مرارا، لكن إذا أردنا أن نتحدث حديث الحكماء فينبغي ألا نقبل الكلام عن شيء، أو عن شخص، أو عن هذا، أو عن ذاك، أو عن غيرهم بلفظة تعنى الثبات، بل الأجدر أن نستخدم عبارات تعبر عن الحقيقة وهى أنها على وشك الصيرورة، أو الكون والفساد، أو التغير، أما ذكر كلام يعنى الثبات فإنما يعرض ناطقه للتفنيد . وينبغي أن نتبع هذه القاعدة إذا تحدثنا عن الوحدات المفردة أو عن الجماعات التى قد يسميها الناس أحيانا «الإنسان» أو «الحجر» أو أى نوع من أنواع الحيوان أو أية صورة أخرى. أليس فى كل هذا ، يا ثياتيتيوس ، نظريات محببة لك تجد متعة فى تذوقها.

ثيا : لست أعرف ، يا سقراط ، أكنت تعرض هنا آراء تعجبك أم أنك تريد اختبارى ؟
س : إنك تنسى، يا صديقى ، أننى لا أعرف، ولا أدعى شيئا من كل هذا وليس فى ذهنى فكرة عنها وانما أبغى توليدك ولكى يتم هذا فإننى ألهمك وأجعلك تتذوق حكمة المفكرين الواحد بعد الآخر حتى تخرج إلى النور طريقتك فى التفكير بمجهودنا المشترك. وبعد ذلك سوف أفحص إن كانت تنبض بالحياة أو لا. ولتكن واثقا ثابتا ولتجب على أسئلتى بشجاعة، وقدم ما يرضيك من حلول للمشكلات.
ثيا : هلا سألت !.

س : لتذكر لى إن كان يرضيك أن تنكر الوجود وأننا لا نثبت إلا الصيرورة المستمرة بالنسبة للخير والجمال وكل ما قد ذكرناه.

ثيا : إننى أشعر عندما أسمعك تشرح هذه النظرية بأن لها مظهرا رائعا ومقنعا وإنه ينبغي على أن أقبلها على نحو ما تشرحها.

س : دعنا نكمل عرضنا لها إذ يبقى فى الواقع اعتراض عليها يستند إلى الأحلام والأمراض وخاصة الجنون وكل ما يتسبب عن خداع فى السمع والبصر وباقى الإحساسات الأخرى وإنك لتعلم بالطبع أنه فى كل هذه الحالات تتعرض النظرية التى عرضناها توالا للتفنيد بسبب أنه فى كل هذه الحالات تكون ١٥٨

الإحساسات التي نحس بها خاطئة ولكن لا شيء مما يظهر لأي إنسان يكون في الحقيقة كما يظهر له.

ثيا: لا نزاع فيما تقول يا سقراط.

س: فما الذي ينبغي قوله بعد ذلك لمن يدعى أن الإحساس هو العلم وأن ما يظهر لكل واحد فهو موجود على نحو ما يظهر له؟

ثيا: فيما يتعلق بي ، يا سقراط ، فإنني أتردد في أن أقول إنني لا أعرف بم أجيب؟، إذ إنك كنت تلومني الآن على مثل هذا الكلام ومع ذلك فاني في الواقع لا أستطيع أن أعارض بأنه في حالة الجنون أو في حالة الحلم تعرض آراء خاطئة، ففي حين يعتقد البعض أنهم آلهة يتخيل الآخرون أن لهم أجنحة وأنهم يطيطرون، بينما هم في سبات عميق.

س: ألا تفكر - أيضا - في معارضة أخرى بالنسبة لهذا الموضوع خاصة فيما يتعلق بمسألة الحلم واليقظة.

ثيا: أية معارضة؟

س: كثيرا ما ظننتك قدرت الآتي: فقد يسأل المرء بأي برهان نجيب على من يريد أن يعرف مثلا هل نحن نائمون أو أيقاظ نحلم الآن بكل ما يخطر في فكركنا أو أنه حوار حقيقي يدور بيننا.

ثيا: الحق ، يا سقراط ، إنني لا أجد أي برهان نبرهن به على ذلك ، ولا يمنع شيء أن يكون الكلام الذي يدور بيننا الآن يتم أثناء النوم فإن المشابهة تكاد تكون تامة بين هذه الحالة وحالة ظننا أننا نحدث الآخرين أثناء الحلم.

س: إنك لترى أن مجال الشك هذا كبير حيث إن التمييز بين اليقظة والحلم شيء يقبل الحجاج، والحق أن الزمن الذي ننام فيه والزمن الذي نكون فيه متيقظين يتساويان وفي كل حالة منهما ندعى بكل قوة أن معتقداتنا في أية حال من الحالين حقيقية وعلى هذا النحو تتساوى حماستنا وثقتنا في إثبات حقيقة كل عالم من العالمين.

ثيا: نعم يتساوى الحالان.

س : وينبغي أن يكون الأمر كذلك فى حالات المرض والجنون، غير أن مدة استمرارها ليست متساوية.

ثيا : هذا حق.

س : ولكن أنقيس الحقيقة بطول المدة أم بقصرها؟

ثيا : كلا فهذا خطأ فى كل الأحوال.

س : لكن هل لديك أية علامة واضحة تبين أى هذه المعتقدات حقيقى ؟

ثيا : لا أظن

س : دعنى أذكر لك ما يقوله أولئك الذين يؤكدون الرأى القائل : إن كل المعتقدات أيا

ما كانت عليه إنما هى حقيقية بالنسبة للذات التى تعتقد فيها ، وفى ظنى أنهم

يفسرون فكرتهم على النحو التالى «أى ثياتيتوس إذا كان هناك شىء مختلف

تماما عن غيره فهل يمكن أن يتصف بصفة هذا الغير؟ ولست أعنى بهذا

الاختلاف اختلافا فى صفة ما وتشابها فى صفة أخرى بل اختلافا كليا.

ثيا : مستحيل أن يكون بينهما تشابه سواء فى أفعالهما أو بالنسبة لأى شىء آخر ١٥٩

ماداما مختلفين تماما.

س : ولكن أليس من الضرورى أن نسلم بأن هذا الموضوع مختلف عن الآخر؟

أظن كذلك.

س : فهل نقول إذن : إن كل ما يتشابه مع نفسه أو مع غيره أو لا يتشابه يتحد عند

المشابهة مع ما يشابهه ويختلف مع ما لا يشابهه ؟

ثيا : طبعا هذا ضرورى.

س : ألم نكن نقول مسبقا: إن الفواعل كثيرة، بل لا نهائية العدد وكذلك – أيضا – المنفعلات؟

ثيا : بلى.

س : وأن الناتج من اتصال واحد منها بغيره يختلف باختلاف هذه الأطراف.

ثيا : هذا حق.

س : فلنطبق هذا الكلام على نفسى أو عليك أو على أى شىء آخر فنقول : إن سقراط

سليم ، ثم نقول: إن سقراط مريض، فهل يتشابه سقراط فى الحالين؟

ثيا : هل تعنى أن كان سقراط المريض بأكمله يشبه سقراط السليم بأكمله؟

س : لقد فهمت الآن ما أعنيه.

ثيا : ينبغي أن نقول: إنهما متباينان.

س : أليس متباينين بقدر ما هما مختلفان؟

ثيا : أجل بالضرورة.

س : ألا ينطبق هذا الحكم – أيضا – على سقراط حين يكون نائما، وفي كل الحالات

التي سبق ذكرها؟

ثيا : هذا مؤكد.

س : أليس كل ما هو بطبيعته فاعل مؤثر يفعل في فعل مختلف عما يفعله في سقراط

السليم تارة والمريض تارة أخرى.

ثيا : بلى طبعاً.

س : ألا يكون الناتج الذى يتولد عن تأثرى بالفاعل مختلفاً عن الناتج من تأثر

سقراط به؟

ثيا : أجل بالطبع.

س : ألا يبدو لى النبيذ الذى أشربه وأنا سليم لذيذاً وحلواً؟

ثيا : أجل.

س : وتبعاً للتفسير الذى سلمنا به ، فإن الفاعل والمنفعل ينتجان الحلاوة

والإحساس بهما ، أى حركتين متوائمتين، فالإحساس من جهة المنفعل يجعل

اللسان يحس، أما الحلاوة من جهة النبيذ فقد انتشرت فيه فجعلته حلواً ، وظهر

حلواً فى اللسان السليم.

ثيا : هذا بالتأكيد هو ما قد سبق أن سلمنا به.

س . لكن إذا وقع الفعل على وأنا مريض فإن أول ما سوف يقال إنه ليس الشخص

نفسه وإنما شخص مختلف لأن المنفعل هنا ليس مشابهاً للآخر.

ثيا : أجل.

س : كذلك الحال بالنسبة للزوج التالى، إذا كان سقراط فى هذه الحالة – أى

المرض- يشرب النبيذ فإنما تحدث نتائج مختلفة، أى إحساس بالمرارة فى اللسان من جهتى، ومن جهة النبيذ تنشأ مرارة أى حركة فالنبيذ يصبح مرا وليست المرارة فى حين أصبح أنا حاسا وليست إحساسا.
ثيا: بالتأكيد.

س: ومن جهتى لا يمكن أن أحس بالطريقة نفسها بأى شىء آخر، فالموضوع ١٦٠ المختلف يناسبه إحساس مختلف، كما أنه عندما يؤثر على المدرك له فإنما يؤثر على شخص مختلف تماما. والشىء الذى يؤثر فى لا يمكن أن يؤثر فى شخص آخر ويولد النتيجة نفسها والحال نفسها، فإذا اختلفت الأسباب اختلفت النتائج وتغير الحال.

ثيا: حق ما تقول.

س: ولكننى لا يمكن أن أصير حاسا بذاتى وحدها، ولا يمكن للموضوع أن يصير مدركا بذاته وحدها.

ثيا: كلا بالتأكيد.

س: ومن المؤكد أننى عندما أصير مدركا أصبح مدركا لشىء ما، أو لا يمكن أن أكون مدركا للاشىء فى الوقت نفسه، وكذلك يكون الموضوع حلوا أو مرا أو غير ذلك فهو يؤثر فى شخص ما إذ من المسلم به أن يصير الشىء حلوا بغير أن يكون حلوا بالنسبة لشخص ما.

ثيا: صحيح تماما.

س: أظن أنى وهذا الموضوع نكون موجودين بواسطة هذه العلاقة المتبادلة بيننا لأن وجودنا مرتبط بحكم الضرورة ولكننا غير مرتبطين بشىء آخر ولا يمكن لكل منا أن يكون مرتبطا بذاته، فالارتباط الوحيد الباقى هو ارتباط الواحد بالآخر ويترتب على ذلك عندما نتحدث عن وجود أو عن صيرورة شىء معين فإنما نتحدث عنهما بالنسبة لشخص أو شىء ما أو فى اتجاه شىء ما ولا ينبغى أن نقول أو نسمح لأحد أن يقول بأن شيئا ما موجود أو يصير فى ذاته أو بذاته، هذا هو معنى البرهان الذى عرضناه.

ثيا . هذا صحيح جدا يا سقراط .

س : وعلى ذلك فإن ما هو مؤثر بالنسبة لى ليس مؤثرا بالنسبة للآخر وأنا الذى أحس به وليس الآخر .

ثيا : طبعا هو كذلك .

س : فإحساسى إذن حقيقى ، لأنه يرجع إلى وجودى أنا وإلى ينبغى أن يكون الحكم على حد قول بروتاجوراس فما هو موجود بالنسبة لى فهو موجود وما ليس موجودا بالنسبة لى ليس موجودا على الإطلاق .

ثيا : هذا ما يظهر .

س : فإذا سلمت بأنى متيقن ولا أخطئ فى تقديرى لما هو موجود وما هو فى صيرورة فكيف أفشل فى معرفة ما أحس به ؟

ثيا : لا أظنك تفشل فى ذلك .

س : لقد أحسنت القول حين ذكرت أن العلم ليس شيئا آخر سوى الإحساس وإلى هذا المعنى قد انتهت نظرية هوميروس ، وهرقليطس وكل الفرقة التى تتبع قولهما : «بأن كل شئ يتحرك كسيلان المياه» وكذلك عبارة ثياتيتوس الذى يعلن بناء على كل ذلك أن الإحساس هو العلم ، أليس كذلك يا ثياتيتوس ؟ ألا ينبغى أن نسلم أن لديك الآن مولودك وإنى قد ولدتك ولادة ناجحة ؟ ماذا تقول ؟

ثيا : أقول حقا يا سقراط .

أول محاولة للنقد : على كل أن يثبت قضيته :

س : يبدو أننا قد صادفنا تعبنا شديدا حتى خرج مولودنا إلى النور أيا كان نوع هذا المولود - ولكن بعد أن تمت الولادة فينبغى أن نمضى فى الاحتفال بالمولود ^(٧) ولنشحن فكرنا لنرى إن كان الناتج يستحق أن نربيه أهو مجرد وهم زائف أم نظن أنه ينبغى علينا أن نربيه بأى ثمن لأنه مولودك ولا ينبغى ١٦١

(٧) فى اليونانية تفيد كلمة AMPHIDROMIA الاحتفال بالمولود بعد أن يطلق عليه اسمه ويطوف به أهله صحن الدار بعد أسبوع من ولادته

أن نعرضه للخطر: أم يحتمل على العكس من ذلك أن يوجه له النقد تحت بصرك بغير أن ينتابك الغضب إذا ما سلبت مولودك البكر.
ثيودوروس إن هذا الاحتمال سيتوفر لثياتيتوس ياسقراط، إذ أنه ليس حاد الطبع ولكن بحق الآلهة، لتخبرنى هل يوجد فى هذه النتيجة أى خطأ؟.

س : يالك من مجادل هاو! وما أطيب قلبك إذ تعدنى يا ثيودوروس حقيبة من الأدلة ليس على سوى أن أستخرج الإجابة جاهزة لأقول لك هنا - أيضا - يوجد خطأ، وأنت لا تلاحظ فى الواقع ما يحدث إذ ليس هناك دليل واحد من الأدلة قد صدر عنى بل يصدر دائما ممن أناقشهم، أما بالنسبة لى، فأنا لا أعلم شيئا أكثر من العلم البسيط بأن ما نجريه من حوار يبدع الحكمة عند الآخرين ويجعلهم يتلقونها على نحو سليم ، وهذا ما سوف أحاوله الآن مع فتانا ، وبغير أن أذكر شيئا من عندى.

ثيودوروس. معك حق ، يا سقراط ، لتفعل وفقا لما تقول.

س : أتعلم إذن ، يا ثيودوروس ، ما الذى يدهشنى من صديقك بروتاجواس ؟

ثيودوروس. ماذا ؟

س : لقد ذكر أشياء تعجبنى فى مجموعها إذ قد وضح أن ما يبدو لكل واحد فعلى هذا النحو يكون غير أن بداية حديثه قد أدهشتنى، فلماذا لم يقل عندما بدأ حديثه إن مقياس كل شىء هو الخنزير أو القرد أو أى حيوان أكثر غلظة من بين الحيوانات التى تحس؟

فقد كان يوشك أن يقدم شيئا رائعا فى افتتاحية محتقرة إذ يظل يذكر لنا هذا طول الوقت الذى كنا نعجب بحكمته إعجابا لا يجوز إلا للآلهة فى حين أنه فى الحقيقة لم يكن أحكم من أى شخص آخر ولا حتى من ضفدع الماء، إذ ماذا نقول غير ذلك يا ثيودوروس، وإذا كان كل ما يدركه الإنسان حقيقى بالنسبة له، وإذا كان له رأى فليس لأحد غيره من حق فى أن يختبر صحته أو خطأه، وإذا كان كما قلنا مرارا، لكل واحد معتقداته الخاصة التى لا يجوز لأى واحد آخر أن ينازعه فى صدقها أو حقيقتها فكيف يا صديقى العزيز يكون بروتاجوراس

حكيمًا إلى حد أن يعلم الآخرين ويتلقى منهم أجورًا باهظة؟ وما حاجتنا إذن نحن الجهلة نسبيًا لأن نحضر دروسه طالما كان كل منا مقياسًا للحكمة؟^(٨) ألا تظن أن بروتاجورس لا يقدم هنا شيئًا سوى خداع للعامة، أما فيما يتعلق بحالي ويفنى في التوليد فلا أقول شيئًا عما يقال عنه وعن الحوار الجدلي من أقوال سخيفة، ألا يترتب على ذلك أن تصبح محاولة اختبار آراء الناس ونقد معتقداتهم التي هي حقيقية بالنسبة لكل منهم مجرد صياح أجوف وثرثرة ما دامت نظرية بروتاجوراس هي الحقيقة اليقينية وليست لهوا يطلقه من باطن ١٦٢ أعماق كتابه المقدس^(٩).

ثيودورس إن الرجل لعزیز علی، یا سقراط، علی نحو ما ذكرت الآن، ولذلك فلن أَرْضَى بأن أقدم الأدلة التي تفند بروتاجوراس كما لا أبغى أن أعارض رأيك وأكون خصمًا لك ولذلك ينبغي عليك أن تتجه إلى ثياتيتوس، إذ إنه قد بدا متتبعًا تفكيرك في المناقشة الحالية.

س: فهل تفضل، يا ثيودورس، إذا ما زرت حلبة مصارعة بلقديمونيا أن تشاهد اللاعبين يخلعون ملابسهم ولا تستجيب بدورك فتتعرى لتظهر هيئتك؟
ثيودورس. ولم لا إذا كنت قد حظيت بكسب ثقتهم بالأدلة العقلية المقنعة؟ وأظن أنني سوف أقنعك بالنسبة للحالة الراهنة بأن تتركني في دور المشاهد وألا تدفعني بعنف إلى التمرينات ولك أن تفضل رفيقًا أكثر شبابًا ونضارة على من كان في مثل سنى قد تصلبت أطرافه.

س: ليكن، يا ثيودورس، ما تريد، فإن ما يعجبك لا يضيرني، كما يقول المثل، وينبغي لنا أن نبدأ بما كنا نعرضه، ألا تعجب لحظة ترى نفسك ترتفع إلى مصاف الحكمة التي لا يسمو إليها بشر ولا إله؟^(١٠) أم تظن أن مقياس بروتاجوراس لا يسرى على الآلهة أكثر مما يسرى على البشر؟

(٨) يقتبس هنا فكرة السؤال الذي وجهه سقراط إلى السفسطائيين في محاوراة أوتيديموس (٢٨٧) فقال: «إذا كنا لا نخطيء في أقوالنا ولا في أفكارنا فإلى من من الناس تقدمون إذن دروسكم؟»
(٩) يقول في محاوراة أوتيديموس (٢٨٦) هل من الممكن أن نفند إنسانًا إذا كان من المستحيل أن يخطيء الإنسان؟
(١٠) يقول في محاوراة القوانين (٧١٦) إن الله هو مقياس كل شيء.

ثيا : بحق السماء ليس لدى تلك الفكرة، وإنى لأجيب على سؤالك بنعم، إنى لأعجب جدا فعندما كنا نقتبع حالا نتائج العبارة «إن ما يظهر لكل واحد فهو موجود بالنسبة لمن يظهر له» قد ظهر أن من يقول بهذا صادق، ولكنى الآن قد تغير شعورى.

س : لأنك مازلت صبيا ، يا بنى، وإنك لتسمع وتقع بسرعة بالكلام المنمق ففى مثل هذه الأسئلة كان بروتاجوراس يجيب هو أو من كان مكانه بقوله : أيها الأبطال شبابا وشيوخا، إن هذا لغو لأنكم تجرون الآلهة التى أستبعد من أحاديثى وكتاباتى الحكم على وجودها وعدم وجودها ^(١١) فى المعارك التى تثيرونها وتلجأون إلى اللغة التى تستجيب لها العامة كقولكم : إنه من جهة الحكمة ليس الإنسان بأحكم من أية بهيمة.

ولا يوجد أى أثر للبراهين اللازمة فى كلامكم لأنكم لا تتحدثون إلا بالمشابه الذى لو أن ثيودورس أو غيره من علماء الهندسة اختار استعماله فى الهندسة لحكم عليه أول عابر سبيل بأنه لا يساوى شروى نقيير لتخبرا أنت وثيودورس إذا ما كنتما تقبلان الأسباب المقنعة أو المتشابهات كما لو كانت براهين ١٦٣ صالحة للموضوعات الجادة.

ثيا : لتسمح لى ، ياسقراط ، أن أخبرك بأنك وإيائى ما كنا نقول هذا.
س : أظن أنه لا بد أن نوجه البحث فى اتجاه آخر وفقا لأسلوب تفكيرك أنت وثيودورس.

ثيا : أجل فى اتجاه آخر.

س : لنضع هذه القضية موضوع البحث وهى : أياكون العلم والإحساس شيئا واحدا أم أنهما مختلفان فكل مناقشاتنا سوف تدور حول هذا الموضوع وقد أثرنا كل هذه النظريات الغريبة من أجل هذه الغاية.

ثيا : صحيح جدا.

(١١) ذكر سكستوس أمبريقوس فى كتابه Adv.Math.IX,56 عبارة بروتاجوراس وكذلك نقلها بأوزيبوس وخلصتها .

«أما عن الآلهة فلا يمكن أن أقول - إنها موجودة أو غير موجودة ولا ما هى طبيعتها فهناك عرائق كثيرة تحجب هذه المعرفة منها غموض الموضوع وقصر الحياة».

(للعلم الديمومة نفسها التي للإحساس)

س : هل نتفق - إذن - على أن كل ما نحس به بواسطة البصر أو السمع يكون موضوعا لعلمنا؟ مثلا قبل أن نكون قد تعلمنا لغة البرابرة، أننكر أننا نسمع ما ينطقون به، أم نوّكد أننا نسمع ونعلم ما يقولون؟

وأیضا ، هل إذا لم تكن نعرف القراءة ووقع بصرنا على حروف الهجاء أننكر رؤيتها أم نوّكد بكل قوة أننا عندما أبصرناها فقد عرفناها؟

ثيا :إننا حين نرى أو نسمع شيئا نوّكد أننا عرفناه ، ياسقراط ، فقد يكون شكلا أو لونا فنقول: إننا نبصره ونعرفه ونذكر - أيضا - أن هناك ارتفاعا وانخفاضا فى الصوت نسمعهما ولذلك نعرفها ولكن ما يعلمه النحويون والملحنون فلا نقول إننا نحسه بالبصر أو بالسمع أو أننا نعلمه.

س :إجابة ممتازة ، يا ثياتيتوس ، وليس هناك ما يستدعى اعتراضى عليك مما يعوق مواصلة بحثك. ولكن لتنتبه إلى هذا الهجوم الجديد الذى يقترب ولتبحث بأى الوسائل تدفعه؟

ثيا :أى هجوم ؟

س : سنسأل هذا السؤال : إذا علم الإنسان موضوعا ما وكان موجودا فى ذاكرته فهل يمكن ألا يعلم هذا الشخص الموضوع الذى يتذكره أثناء عملية تذكره له؟ أظننى صعبت المسألة بهذا الكلام الكثير فهى تتلخص فى السؤال عم اذا كان المرء يعلم الموضوع الذى سبق له تعلمه فى الوقت الذى يتذكره فيه.

ثيا: كلا بالطبع ، يا سقراط ، ان ما تقوله غريب.

س : هل أذكر لغوا؟ لتفحص جيدا عم إن كان البصر فى رأيك يساوى الإحساس أو أن الإبصار هو الإحساس ؟

ثيا: نعم أوافق على ذلك.

س : وإذن فمن أبصر فقد علم ما أبصره وفقا لرأيك الحالى.

ثيا :أجل.

س : وعلى ذلك يوجد شيء ما تسميه الذاكرة^(١٢)؟

ثيا : أجل.

س : ذاكرة عن شيء أو عن لا شيء؟

ثيا : عن شيء ما بالطبع.

س : عن شيء ما تعلمناه أو عن شيء ما أحسنا به ؟

ثيا : بالطبع .

س : أى يتذكر المرء ما يكون قد رآه.

ثيا : نعم يتذكره.

س : وحتى عندما يغمض عينينه؟ أو هل نفقد شيئاً بإغماضهما ؟

ثيا : سيكون غريباً ، يا سقراط ، لو قلنا بمثل هذا.

س : هذا هو ما ينبغى قوله إذا أردنا أن نوكد الدليل السابق وإلا فإنه سوف يدبر. ١٦٤

ثيا : وبالنسبة لى فلدى والله بعض الشك فيما تقول لأنى لا أفهم جيداً. فلتفسر لى أكثر.

س : إنه كذلك إن من أبصر فإنه قد علم ما كان قد أبصره ذلك لأن البصر والإحساس

والعلم كلها شيء واحد، ألسنا متفقين على ذلك ؟.

ثيا : بكل تأكيد .

س : ولكن من أبصر شيئاً وعلم ما قد أبصره ثم أغمض عينيه ألا يتذكره فى الوقت

نفسه الذى يراه فيه؟ أليس هذا حقيقياً ؟

ثيا : هذا حق..

س : لكن ألا يعنى عدم الإبصار عدم العلم ما دام الإبصار هو العلم.

ثيا : حقاً.

س : قد يحدث مثلاً أن ما قد علمناه ثم تذكرناه ينبغى علمنا به ما دمنا لا نراه، هو

افتراض وصفناه بأنه غير معقول.

ثيا : صحيح ما تقول.

س : وهو أمر مستحيل إذا سلمنا بأن العلم والإحساس يكونان شيئاً واحداً.

ثيا : يبدو هذا .

س : ينبغي أن تقول : إنهما مختلفان.

ثيا : أظن ذلك.

س : فماذا يكون العلم إذن ؟ يبدو أنه ينبغي لنا أن نأخذ المسألة من أولها ، ولكن

ماذا سوف نفعل هنا ، يا ثياتيتوس؟

ثيا : ماذا ؟

س : يظهر أننا قد سلكننا مسلك الديك السيئ العنصر فأسرعنا قبل أن نحقق النصر إلى

ترك المناقشة وهللنا لانتصارنا.

ثيا : وكيف هذا ؟

س : يبدو أننا قد انتهينا إلى اتفاق على الكلمات وأن مثل هذا النصر الوهمي قد

أغرانا وإننا حين ندعى أننا فلاسفة فقد وقعنا بلا وعى منا فيما يقع فيه هؤلاء

القوم غير المحتملين.

ثيا : لست أفهم تماماً ما تعنيه بهذا الكلام.

س : سوف أجتهد في توضيح ما يجول في ذهني فقد سألنا هل ما تعلمناه ثم

تذكرناه يمكن ألا نعرفه، ثم سلمنا بأن من رأى شيئاً ثم أغمض عينيه يتذكره

في حين أنه لا يراه ثم ذكرنا بعد ذلك أنه في الوقت نفسه لا يعرفه ومع ذلك

فهو يتذكره وإن في هذا القول استحالة وبهذا نكون قد أنكرنا أسطورة

بروتاجوراس وأسطورتك اللتين توحدان بين العلم والإحساس.

ثيا : هذا ما يبدو.

س : ويخيل إليّ ، يا عزيزي ، لو كان والد الأسطورة الأولى يعيش فإنه كان سيدفع

عنها كثيراً من الضربات ولكن لا يوجد هنا سوى يتيم ونحن نمرغه في الوحل،

ويقدر ما يرفض المربون الذين تركهم له بروتاجوراس للمساعدة وأولهم

ثيودورس فعلياً نحن أن نمد له يد المساعد

ثيودوروس لست أنا ، يا سقراط ، وإنما هو بالأحرى كالياس بن هيبونيكوس الذى كان ١٦٥ وصيا عليه، ولقد عزفت مبكرا عن الأفكار المجردة وملت إلى الهندسة. ومع ذلك فإننى موافق إذا أردت أنت أن تساعد.

س : كلام طيب يا ثيودوروس، لننظر اذن فى المساعدة التى سوف أقدمها - وإن عدم الدقة فى ملاحظة معانى الكلمات قد جرتنا إلى التسليم بنتائج خطيرة كما حدث فيما سلمنا به وما رفضناه من أقوال. أأوجه تفسيرى لك أم لثياتيتوس؟.

ثيودوروس لكينا فى وقت واحد، لكن ليجب الأصغر فإن هفواته ستكون أقل شناعة.

س : سوف أوجه الآتى، هل من الممكن للذى يعرف ألا يعرف ما يعرف ؟

ثيودوروس بم نجيب - إذن - يا ثياتيتوس؟

ثيا : إن ذلك من المستحيل، ذلك هو رأى على الأقل.

س : ليس مستحيلا، ما دمت قد سلمت إن البصر يساوى المعرفة، إذ كيف تفلت من

ذلك السؤال العويص، من البئر الذى رماك فيه السائل الملح الذى أغمض إحدى

عينيك بيده ثم سألك عم إن كنت ترى ملابسه بعينيك المغمضة؟

ثيا : سوف أقول بهذه العين المغمضة لا، أما بالأخرى فنعم.

س : أليس معنى هذا أننا نرى ولا نرى الشئ نفسه .

ثيا : بلى، هذا حق بلاشك.

س : إنى لا أعبأ بهذا ولم أستفهم عن الطريقة، بل أسأل عما إذا كنت تعرف ولا تعرف

فى الوقت نفسه؟، فمن الواضح أنك فى هذه اللحظة ترى ما لا تراه، وقد سلمت

أن الإبصار يساوى المعرفة وأن عدم الإبصار يساوى عدم المعرفة، وعليك أن

تستدل من ذلك على النتائج التى ينبغى أن تستدل عليها.

ثيا : وإذن فإنه يترتب على ذلك عكس ما قد أثبتته.

س : وربما ، يافتاى المدهش ، سيكون عليك أن تخضع لهزائم مماثلة فى حالة اذا

ما سئلت هل هناك معرفة متميزة ومعرفة مبهمة، معرفة عن قرب ومعرفة عن

بعد، معرفة عميقة ومعرفة متوسطة وآلاف الأشياء الأخرى التى توقعك فى

كمن يطل منه عليك مهاجم مرتزق فى معارك بعد ان سلمت بوحدة العلم والإحساس ولسوف يوجه هجومه إلى إحساسى السمع والشم وياقى الحواس ليفعمك بغير هوادة ولا يتركك الا بعد أن يكون قد أربكك بحكمته الفائقة، بل يقيدك أسيرا له ، وبعد أن يكون قد قيدك من قدميك ويديك ولا يطلق سراحك الا بعد أن يكون قد أخذ كل ما يمكن مداولتك فيه، أى إجابة إذن تقول : إن بروتاجوراس سيقدمها ليدعم بها نظرياته؟ ألا نحاول أن نذكرها؟

ثيا: إنى موافق.

(دفاع بروتاجوراس)

س: إن كل ما قد ذكرناه الآن للدفاع عنه سوف يصير إلى ضده وسوف يقول ١٦٦ باحتقار لنا : ها هو ذا سقراط المدهش!

لقد سأل سقراط صبيا خائفا عما إن كان هناك رجل يستطيع أن يتذكر شيئا ما هو فى الوقت نفسه لا يعرفه؟ ولقد خاف الصبى وأنكر لأنه لم يكن يستطيع التنبؤ بالنتائج والذى خذل هو أنا : لقد حاول سقراط ليثبت ذلك ولكن هاك الحقيقة فى هذا الموضوع، أى سقراط أيها الرجل الساذج! إذا كنت تتناول رأيا من آرائى بطريق المناقشة وكان محدثك يرد عليك بما كنت أرد أنا به ثم تتغلب عليه فإنك عندئذ تتغلب على أنا - أيضا، وأما إذا أجاب بإجابات مختلفة عما كنت أجيب به فإنك لا تفند إلا محدثك وبغير أن نطيل، أظن أننا نسلم بأن الصورة التى تتذكرها الآن عن انطباع تشبه تماما الانطباع السابق الذى لم نعد نحس به أم أنها تختلف كثيرا؟ أظن أننا نتراجع عن التسليم بأن المعرفة وعدم المعرفة يمكن أن يوجد عند الشخص نفسه وبالنسبة للشئ نفسه؟ فإذا لم تجرؤ على ذلك الاعتراف أنسلم لك أن الشخص الواحد لا يمكن أبدا ألا يكون هو ذاته بعد ما يتغير عما كان عليه قبل التغير؟ أم أنه يوجد شخص واحد وليس أشخاصا؟ أى إنه يتعدد إلى ما لا نهاية بشرط أن يتغير الفرد على التوالى، وإذا وجب علينا تصيد الكلمات فعلى كل أن يحذر من خداع الآخر! ولسوف يردف بروتاجوراس قائلا: لتكن نبىلا عندما تتعرض لمهاجمة

قضيتي، ولتثبت إذا استطعت عكس ما أقول، أى أنه لا يوجد لكل واحد إحساساته الخاصة، أو إذا سلمنا بخصوصيتها فإنه يترتب على هذا أن ما ظهر لكل شخص فإنه لا يترتب على هذا إن ما ظهر لكل شخص فإنه لا يصبح موجودا بالنسبة لمن يظهر له، أما إذا تحدثت هنا عن الخنازير والقردة Baboon فليس معنى هذا أنك تفكر كالخنازير نفسها، بل أكثر من ذلك تغرى سامعيك بمثل هذا السلوك فى تقديرك لكتاباتي على هذا النحو. وإنك لتخطئ بفعلك هذا إذ أننى أؤكد أن الحقيقة هى كما قد دونتها. كل منا هو مقياس لما هو موجود وما ليس موجودا* ويقدر الاختلاف الموجود بين الواحد من الناس والآخر يكون الاختلاف بين ما هو موجود وما يبدو للواحد أو للآخر، وإنى لا أنكر وجود الحكمة والحكماء ولكن على أى نحو أعرف الحكيم؟ إنه ذلك الذى يمكنه أن يغير معنى الأشياء بالنسبة لنا بحيث يجعل الأشياء السيئة والتي تظهر لنا سيئة تتحول إلى حسنة وتظهر لنا حسنة، ولكن لا نذهب فى البحث عن معنى كل كلمة من كلمات هذه العبارة، وهاك بالأحرى تفسير ما أود أن أقوله، فلتذكر على سبيل المثال، ما كنا نذكره فيما سبق من أن الطعام يكون ويظهر فى فم المريض مرا، فى حين أنه يكون بالنسبة للسليم ويظهر له على العكس من ١٦٧ ذلك (١٣). ولا يجوز ولا يمكن فى الواقع أن نصف أحدهما بأن رأيه أحكم من الآخر كما لا يجوز - أيضا - أن نتهم المريض بالجهل، لأن آراءه تعنى معنى معيناً أو أن نسلم بأن السليم حكيم لأنه يعتقد غير ذلك، وما ينبغى أن نفعله فى التربيته هو إبدال حال بحال أخرى تكون أصلح منها، فالطبيب يحدث هذا بأدويته، أما السفسطائى فبأقواله (١٤)، ولا يحدث أن استبدل أحد ما رأيا خاطئاً برأى سليم لأنه ليس من الممكن التفكير فيما هو ليس موجودا، وإنما الرأى هو دائماً ما نفعل به، وكل ما نفعل به صحيح، والأولى أن نقول إن الميل المنحرف فى النفس يولد آراء من طبيعته نفسها، والميول الحسنة تحدث آراء

(١٣) ارجع إلى الفقرة ١٥٩.

(١٤) انظر بهذا الصدد هيلينا لجورجياس ٨-١٣-١٤

تتناسب معها وقد يصفها البعض عن جهل بأنها أكثر حقيقة من غيرها فى حين أنها ليست عندى بأكثر يقينا من الأخرى ، وإن كانت أكثر قيمة، أما عن الحكماء ، يا صديقى سقراط ، فإننى أبعد ما أكون عن أن أبحث عنهم بين الضفادع، بل انى أجدهم بين الأطباء إن تعلق الأمر بالأجسام وبين المزارعين إن تعلق الأمر بالنبات وانى لأؤكد أن هؤلاء يولدون فى كل ما ينبت الإحساسات الحسنة السليمة بدلا من الإحساسات الخطرة التى تجلب عليها المرض كذلك فإن الأخيار الحكماء من الخطباء يقدمون للدول الآراء الحسنة بدلا من السيئة ويكسونها بأبهى الحل، فكل ما يبدو حسنا وجميلا للمدينة يبدو كذلك طالما هى تشرعه ، ولكن الحكيم يستبدل بالضرار من الأفعال النافع فى حقيقته وفى مظهره والسبب نفسه يكون القادر على أن يقدم لتلاميذه تربية مفيدة حكيما ويستحق أجرا كبيرا ممن رباهم.

وعلى هذا النحو يكون البعض أحكم من البعض الآخر بدون أن يكون لأحد آراء خاطئة، وأنت سواء رضيت أو لم ترض ينبغى عليك أن توافق بأنك مقياس، حيث إن كل هذه الأمثلة الحية تلزمك بقبول قضيتى، وإذا أردت أن تناقش هذه القضية فلتفعل ذلك بأن تعارض مقالا بمقال آخر، وإذا فضلت المنهج الاستفهامى فليكن عن طريق الأسئلة، فهذا منهج مفضل على غيره، ولتراع فى هذه الحال قاعدة واحدة هى ألا توجه أسئلتك بروح غير عادلة، فإن العيب يكون كبيرا عندما يدعى إنسان أنه معنى بالفضيلة ، ثم يعكف فى أحاديثه على ارتكاب الظلم – ويتلخص الظلم هنا فى عدم التمييز بين المناظرة والجدل^(١٥). وفى المناظرة يمكن للواحد أن يخرج الخصم بقدر ما يمكنه، أما فى الجدل فينبغى له أن يأخذ الأمر مأخذ الجد فيقوم المحدث ويضع فى اعتباره الأخطاء التى ترجع إلى طبيعته أو إلى تربيته أو ما سبق أن تعلمه، فإن اتبعت هذا الأسلوب فإن الذين يترددون على محاوراتك لن يلوموك، بل سيلومون ١٦٨

(15) Le conteste oratoire- Diatribe.
Le discussion dialogue-Dialectikê.

أنفسهم عند ارتباكهم أو تورطهم وهم سوف يضيقون ذرعا بأنفسهم ويهربون منها ويقبلون على الفلسفة كي يتخلصوا من الطبيعة التي كانوا عليها فيتبدلون رجالا مختلفين، أما إذا فعلت العكس وحاكيت الأكثرية فإنك سوف تجنى نتائج عكسية، أما من يترددون عليك فلن يكونوا فلاسفة، بل ينقلبوا أعداء لهذا الموضوع الذى يتمسكون به عندما يتقدمون فى السن.

فإن أردت أن تستمع إلى فبالروح التى طلبناها منك سابقا وليس بالعداء والعراك بل بالفهم الحسن، وينبغى عليك وأنت تحاصر الآن بمعرفة أن تدرس بإخلاص ما الذى يعنيه قولنا: إن كل شىء يتحرك، وإن ما يبدو لكل واحد منا موجود على نحو ما يبدو عليه، وحقيقى سواء بالنسبة للفرد أو المدينة. وسوف تفحص بالتالى إن كان العلم والإحساس شيئا واحد أو هما مختلفان، وليس بالطريقة التى كنت على وشك أن تلجأ إليها بأن تأخذ المعنى الدارج للعبارة والكلمات التى تتشكل عند الأكثرية بحسب أهوائها، بحيث يثير البعض البعض الآخر أو يربكون بعضهم.

ذلك ، يا ثيودورس ، ما استطعت أن أقدمه من أسانيد لصاحبك بقدر استطاعتي وبقدر إمكانياتي الضعيفة، أما إذا كان صاحبك على قيد الحياة، فقد يمكن لدفاعه أن يكون أعظم بكثير .

ثيودورس: إنك لتمزح ، يا سقراط، بل لقد أضفيت على صاحبنا بمساعدتك له روح الشباب. س : كلام طيب يا صديقى ، ولكن لتخبرنى ألم تلاحظ ما قد ذكره الآن بروتاجوراس عندما أخذ يلومنا على أننا كنا نوجه الحديث لطفل وأننا استفدنا من مخاوف الطفل لتعارض آرائه، فسمى هذه ثرثرة وأخذ يمتدح بملء صوته نظريته فى مقياس كل شىء، ويطالبنا أخيرا بفحص قضيته جديا.

ثيودورس: كيف لم ألحظ هذا يا سقراط؟

س : فهل تطلب منا أن نوافقه إذن؟

ثيودورس: هذه هى رغبتى الشديدة.

سقراط: إذن فإنك ترى أن الجميع هنا صبية ما عداك، فإن كنا نود موافقة هذا الرجل

فعلينا أنا وأنت أن نتبادل الأسئلة والإجابات لندرس بجد قضيته حتى لا يوجه لنا على الأقل هذا اللوم بأننا كنا نفتقد هذه القضية على نحو ما يلعب الصبية الصغار من بادئ الأمر إلى آخره.

ثيودورس: وماذا إذن؟ أليس ثياتيتوس أعظم من كثير من الرجال ذوى اللحي الطويلة، وقادرا على تتبع نقد هذه القضية خطوة خطوة.

س: ومع ذلك فهو ليس أكثر منك قدرة، يا ثيودورس، أو هل تتصور أنه يجب على أن أقدم لصديقك الفقيد كل المساعدة التى فى قدرتى أما أنت فلا تحاول أى شىء؟! هيا بنا يا عزيزى ولتصاحبنا جزءا من الطريق حتى نصل إلى المكان ١٦٩ الصحيح الذى نعلم فيه وتكون أنت المرجع فى كل الأشكال الهندسية، أم أن الجميع فى مستواك قادرون بأنفسهم على الحكم فى الهندسة وفى الفلك وفى باقى الموضوعات التى لك فيها باع معترف به.

ثيودورس: ليس من السهل، يا سقراط، أن أظل جالسا بغير أن أجيب عليك، ولقد كنت واهما للغاية حين ظننتك تصر على أن أخلع ملابسى شأن الإسبرطيين، وكان يبدو على العكس من ذلك أنك تريد أن تكون متشبثا شأن «سيكرون»^(١٦)، أما الاسبرطيون فهم فى الواقع يخبرونك فإما أن تخرج أو تتعري، ولكنك بدوت لى تلعب دور «أنتايوس»^(١٧) فمن يحضر لا تتركه أبدا حتى ترغمه على خلع ملابسه كي يواجه اختبارك لقوته.

س: إن تصويرك جميل، يا ثيودورس، يعبر تماما عن ضعفى فالواقع أنى أشد - أيضا - من تشبيهاتك، ولقد التقيت بالعديد من أبطال الحوار، وكم من المرات أسال دمي أمثال هرقليس، وثيريوس ممن اشتبكت معهم. ولكنى لا أترك الساحة بسبب ذلك فبجسدى هيام عنيف بهذه الرياضة، فلا تحرمنى بدورك من هذا الهجوم الذى سيكون مفيدا لى ولك.

(١٦) سكيرون Sciron كان لصا يرغم من يسرق بضائعهم على غسل قدميه فى البحر ثم يركلهم فيه ليموتوا غرقا
(١٧) أنتايوس Antaeus فى الأساطير اليونانية ابن الأرض عملاق يقوى ويكبر كلما لمس الأرض أمه، وكان يرغم الناس على منازلته فيقتلهم حتى أمكن فى النهاية للبطل هرقل أن يرفعه بعيدا عن الأرض ويقضي عليه.

ثيودورس: إنى لا أعارضك ، ولترشدنى إلى الطرق التى ترغب فيها ، إذ ينبغى على فى هذا الموضوع أن أرضخ لما تأمر به وأتحمل امتحان نقدك، ولكن فيما بعد النهاية التى حددتها مبدئيا فلن يكون فى إمكانى أن أرضخ لأمرك.

س : وإلى هذا الحد يكفى ولتحذر من شىء واحد، ألا نتورط بلا وعى منا فى أن نجعل براهيننا تكتسب صورة صبيانية حتى لا يلومنا على ذلك أحد بعد ذلك.

ثيودورس : سوف أجتهد فى تجنب ذلك بقدر استطاعتي.

النقد الثانى

يعترف بروتاجوراس بصحة الرأى الذى ينكر قيمة رأيه :

س : لنتناول المسألة هذه المرة من النقطة السابقة نفسها كى نرى إن كنا على خطأ أو على صواب. ولقد أخذنا على قضيته أنها تسمح للفرد بأن يكتفى بذاته فى موضوعات الحكمة، وعلى هذا فقد وافق بروتاجوراس على أنه فى مسألة الأفضل والأول فى القيمة يكون للبعض صدارة على الغير وفى هذا تكون الحكمة أليس هذا صحيحا؟

ثيودورس: أجل تماما.

س : فإن كان هو وأخذ يقدم لنا هذه الآراء بدلا من أن نقررها نحن المدافعين عنه فما كنا لنعود إلى هذا الموضوع ونتأكد منه، ولكن الآن يمكن أن يقال. إننا لا نملك سلطة الموافقة بدلا عنه ، ولذلك فالأفضل أن نبحث فى مواقفنا من هذا الموضوع بتوضيح أكثر إذ أن الفرق بين الموافقة والرفض فى هذا الموضوع ليس قليل الأهمية.

ثيودورس: صحيح ما تقول.

س : لنكف عن البحث عن حكام آخرين، ففى حديثه سوف نجد أقصر طريق يوصلنا إلى اتفاق.

ثيودورس: أى طريق، وكيف؟

س : هكذ إن ما يظهر لأى شخص فهو كذلك، وأظن أنه يوافق على ما يظهر له؟

ثيودورس. هذا ما يؤكده.

س : إننا ، أيضا ، يا بروتاجوراس ، نقول بآراء لشخص أو لجميع الناس ونؤكد أنه لا يوجد من لا يعتقد في نفسه أنه أحكم من غيره في تلك الموضوعات وأنه أقل من غيره في موضوعات أخرى. ولا يوجد واحد على الأقل في المحن كالحرب والمرض وعواصف البحر لا يعتبر المعلمين في كل هذه الموضوعات في مصاف الآلهة ويرى فيهم منقذين، في حين أنهم لا يمتازون عن الغير في هذا إلا بالمعرفة.

ويمكن أن نقول : إنه في كل أنواع النشاط الإنساني يوجد كثير من الناس الباحثين عن معلمين وقادة لأنفسهم أو لكل ما يحيا حولهم أو فيما ينبغي أن يعاموه وآخرون من الناس يعتقدون في أنفسهم القدرة على التعليم أو الرئاسة. فماذا نقول عن كل هذه المظاهر غير أن الناس أنفسهم يظهرون أنهم مقتنعون بأن الحكمة والجهل يوجدان بينهم

تيردورس هذا هو ما يقال.

س أليست الحكمة في رأيهم فكرا صحيحا^(١٨) والجهل ظلنا خاطئا^(١٩).

تيردورس. كيف نشك في ذلك

س. فقيم اذن يفيدنا هذا الحوار ، يا بروتاجوراس ؟ أتقول إن ظنون الناس تكون دائما صحيحة أم تكون صحيحة تارة وخاطئة تارة أخرى؟! إن الإجابة على الحالتين تنتهي إلى القول بأن آراءهم ليست دائما صحيحة، بل صحيحة تارة وخاطئة تارة وتبحث ، يا ثيودورس ، عم إن كنت ترضى وتوافق أنت أو أى تابع آخر على القول بأنه لا يوجد إنسان يصف غيره بالجهل أو يعد أحكامه خاطئة؟

تيردورس هذا غير معقول يا سقراط.

س. ومع ذلك فإن قضية أن الإنسان هو المقياس تنتهي إلى هذه النتيجة التي لا يمكن تجنبها.

تيردورس وكيف ذلك؟

(١٨) Diánoia, pensée

(١٩) Doxa. Opinion. ظن

س . عندما يكون حكمك الخاص عن موضوع ما متبعا لرأى بروتاجوراس يكون هذا الحكم صحيحا بالنسبة لك، أما بالنسبة لنا نحن الآخرين ألا يجوز لنا أن نحكم بدورنا على الحكم الذى قدمته أم يتحتم علينا أن نقرر دائما أن حكمك صحيح؟ ألا ترى بالعكس أن المعارضين يمكن أن يعتبروا حكمك وآراءك خاطئة؟

ثيودورس: أظنهم آلافا حقيقية بحق زيوس كما يقول هوميروس وانهم ليسببون لى كل الهم الذى فى العالم.

س : وإن هل ينبغى علينا أن نقول لك باستئذانك : إن آراءك هى حقيقة بالنسبة لك وانها بالنسبة لهذه الآلاف خاطئة؟

ثيودورس: يبدو أن هذا أمر لا يمكن تجنبه اذا سلمنا بهذه القضية.

س . لكن النتيجة التى سوف ينتهى إليها بروتاجوراس نفسه إذا ما رفض قضية الإنسان المقياس شأنه فى ذلك شأن العدد الأكبر من الناس الذين يرفضونها، ١٧١ أفلا تكون هذه الحقيقة التى يدعيها فى كتابه غير موجودة بالنسبة لأى شخص؟ وإذا فرضنا أنه يعتقد فيها ولكن الناس كافة يرفضون الاعتقاد فيها وإن عدد من ينكرون صدقها سوف يفوق عدد من يوافقون عليها، ألا يبدو أنها ستكون خاطئة بقدر ما يكون عدد المنكرين أكبر من عدد الموافقين؟

ثيودورس: هذا ضرورى على الأقل إذا كان صدقها أو كذبها يتوقف على رأى كل شخص ! س : هاك أخطر ما فى الموضوع. إن بروتاجوراس حين يسلم بأن رأى كل إنسان صادق لابد إذن أن يعترف بأن رأى معارضيه الذين يعتقدون بأن آراءه خاطئة هو رأى صحيح.

ثيودورس: تماما:

س : وإن فإنه سوف يسلم بأن رأيه خطأ ما دام قد اعترف بصدق رأى من يعتبرونه مخطئا.

ثيودورس: بالطبع

س : ولكن ألا يعترف الآخرون بأنهم - أيضا - مخطئون؟

ثيودورس: كلا بالتأكيد.

س: أما هو فبالعكس يعترف أن رأيهم صحيح، فهذا هو ما يفهم من كتاباته.

ثيودورس: أظن هذا.

س: فمن كل جهة سوف توجد معارضة لرأي بروتاجوراس، بل إن بروتاجوراس

نفسه يوافق على كل رأي معارض له. بل إن بروتاجوراس نفسه يسلم بأنه لا

يوجد كلب ما وعابر سبيل ليس مقياسا لأى شىء لم يعلمه أليس هذا صحيحا؟

ثيودورس: هذا صحيح.

س: ما دام الأمر كذلك فالحقيقة التى يدعيها بروتاجوراس لن تكون صحيحة فى

رأى شخص ولا عنده هو نفسه.

ثيودورس: إن فى هذا تجنيا على صديق، يا سقراط.

س: لكن ليس فى هذا تجن على الحق. فهناك احتمال على الأقل أن الأكبر يكون أكثر

حكمة، وإذا نهض فجأة على ظهر الأرض فإنه سوف يكشف عن كثير من

السخافات التى تلفظت بها وأكدها أنت بموافقتك عليها ثم يجتهد فى الفرار

بأقصى سرعة وأظن أنه علينا أن نقول ما يبدو لنا فى كل المناسبات إذا كان

الأمر كذلك، ألا يجدر بنا الآن أن نوكد أن النتيجة التالية سوف تفرض على

الجميع أيا ما كانوا أنه يوجد الأحكم من الآخر كما يوجد الأكثر جهلا؟

ثيودورس: هذا هو رأيى.

س: ألا ينبغى علينا أن نوكد - أيضا - هذا الموقف الذى يستقيم مع القضية، وهو

الذى شرحناه عندما كنا ندافع عن بروتاجوراس؟ إنه فى أغلب الأحوال تكون

الأشياء بالنسبة لكل واحد بحسب ما تظهر له سواء كانت حارة أو جافة أو حلوة

أو لها أى صفات أخرى من هذا القبيل، ولكن إذا كانت هناك حالة من الحالات

يصدق عليها القول إن شخصا ما يكون أكثر امتيازاً من آخر فإنها تلك الحال

التي تتعلق بمسائل الصحة والمرض، إذ ليس فى مقدور أى امرأة أو أى صبي أو

أى حيوان أن يحدد لنا ما هو صالح له ويأخذ فى علاج نفسه بنفسه.

ثيودورس: هذا - أيضا - رأيى الخاص.

س . وفى السياسة ألا يكون الجميل والقيح والعدل والظالم، والتقوى والفسق وكل ما تعتقد المدينة أنه كذلك وتشعره يبدو حقيقيا بالنسبة له، وعندئذ لا يفضل ١٧٢ فردًا فردًا ولا مدينة مدينة فى الحكمة، ولكن فيما يتعلق بالفائدة والضرر اللذين يعودان على المدينة من قوانينه، فإنه يصدق هنا القول أن هناك اختلافًا فى الرأى من مستشار إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى بحيث يصعب القول أن ما تراه المدينة يكون كذلك لكن فيما يتعلق بموضوعات العدل والظلم والتقوى والفسق فإن الناس توافق على القول إنه لا شىء من هذا موجود بالطبع وأن له جوهرًا ذاتيًا، بل إن ما يبدو للجماعة صحيحًا يصير صحيحًا منذ لحظة ظهوره وطالما ظل يظهر لهم على هذا النحو إلى هذا الحد ينتهى رأى من لا يسرون مع بروتاجوراس إلى نهاية الشوط، أما بالنسبة لنا نحن ، يا ثيودورس ، فإن الدليل يتبع الدليل والأخير منها أهم من السابق عليه.

(الفيلسوف والحكماء فى هذا العالم)

ثيودورس . أليس لدينا فراغ لبحث ذلك ، يا سقراط؟
س : أجل فكثيرا ، يا صديقى المدهش ، ما خطرت فى ذهنى الفكرة نفسها بالنسبة لموضوعات أخرى كما تخطر لى الآن، ففى أغلب الأحيان يبدو أولئك الناس الذين يقضون حياتهم فى البحث الفلسفى خطباء مضحكين عندما يحضرون المحاكم.

ثيودورس : فماذا تبغى قوله ؟

س : عندما نعقد مقارنة بين الذين قضوا حياتهم منذ صباهم فى المحاكم والمرافعات وبين من تربوا على البحث الفلسفى والدراسات الأخرى يبدو الفريق الأول بالنسبة للآخر كالعبيد بالنسبة للأحرار.

ثيودورس : وكيف ذلك ؟

س . بالنسبة لهؤلاء الآخرين ، الأحرار يكون الفراغ اللازم للبحث موجودا

دائماً بحيث تتم أحاديثهم في سلام ، لتنظر إلينا الآن إنها المرة الثالثة التي نندارس فيها الحديث تلو الحديث ، وكذلك هم يفعلون إذا ما خطر لهم موضوع وسرهم أكثر من الموضوع القديم ولا يضيرهم طول الأدلة ولا قصرها طالما ييغون الوصول إلى الحقيقة ، أما الآخرون فلا يتحدثون إلا بوصفهم قوما يراعون الزمن الذي يجري جريان المياه ولا ينتظر شيئاً وليس لديهم الحرية الكافية للاسترسال في موضوع حديثهم ، إذ أنهم خاضعون لسلطة الخصم الذي يقيد بالنقاط التي ينبغي أن يحصر نفسه فيها . انهم ليسوا سوى عبيد يدافعون عن عبيد أمام سيدهم الذي يجلس ممسكاً بدعوى معينة فصراعهم لا يتصف بالحياد بل له غرض شخصي مباشر وغالباً ما تتعلق حياتهم بهذا الحوار ويسبب ذلك تزداد طاقتهم على العمل وتتقد لباقتهم وتجعلهم مهرة في الكلام وفي أساليب العمل التي تسر الرؤساء وتخلب ألبابهم ولكن نفوسهم تصبح لهذا السبب وضيعة ملتوية ، فالتعود على العبودية منذ الصغر يسلبهم النماء ١٧٣ والاستقامة والحرية ويعرض نفوسهم الغضة لمخاطر بالغة ومخاوف لا قبل لهم بمعارضتها بقوة العدل أو الحق فيلجأون إلى الكذب والظلم وينحنون ويكررون الانحناء ثم ينكمشون ولذلك لا يبقى في فكرهم شيء سليم عندما يتجاوزن الصبا ويبلغون مبلغ الرجال ويظنون أن مكرهم وحكمتهم قد بلغت الكمال . هاك هو وضعهم - أي ثيودورس - أتبغى أن أصف لك جماعة الفلاسفة التي تنتمي إليها أم نترك هذا لنعود إلى حوارنا حتى نتجنب المبالغة فيما كنا نتحدث عنه الآن من إفراط في استعمال حريتنا عندما ننتقل بسهولة من حديث إلى آخر ؟

ثيودورس : كلا ، أبداً ، يا سقراط ، إن هذا الوصف واجب علينا ، وقد أحسنت في الواقع بقولك : إننا نحن الذين نكون هذه الجماعة لسنا مرتبطين بالبحث ارتباط العبيد ، إن الأحاديث تابعة لنا ويظل كل منها رهن إشارتنا حتى يحلو

لنا أن نفرغ منها فلسنا في محكمة تحت بصر قاضٍ أو شاهد كما اننا
لسنا بشعراء مسرحيين نواجه جمهورا ناقدا لنا .

س . لننتحدث عن كبار الفلاسفة ما دمت راغبا في ذلك ، إذ ما هي فائدة أن
نتحدث عن أولئك الذين لا يبدعون في الفلسفة أيمن أن أقول عن هؤلاء
إنهم يجهلون منذ صباهم أي طريق يقود إلى ساحة المدينة وأين توجد
المحكمة أو مجلس الشعب أو إلى أي مكان للاجتماع العام في المدينة ،
كما أنهم لا يعنون بسماع أو قراءة أي قرارات أو وثائق قوانين ولا
يهتمون بمشاحنات الأحزاب السياسية وفي الاجتماعات والاحتفالات ،
أما التنصت للاعبات الناي فإنهم لا يحلمون حتى بالمشاركة فيه !^(٢٠)
ولا ينشغل الفيلسوف بكل ما يحدث للمدينة من خير أو من شر أو بما
ورثه الأحفاد عن جدودهم الرجال والنساء من فساد ، لا تشغله هذه
الأمور أكثر مما يشغله عدد البراميل التي يملأها ماء البحر كما يقول
المثل ، بل لا يحس أبدا بجهله بكل هذه الأمور ، لأن امتناعه عن
المشاركة فيها ليس من قبيل الزهو ، فالواقع أن الذي له وجود واقامة
داخل المدينة هو جسده فقط ، أما فكره فيعد كل هذا هراء وسخفا
ويطوف محلقا فوق السماء وتحت الثرى على حد قول بنداروس باحثا
في السماوات ليقيس مساحتها وليتابع سير النجوم وليبين طبيعة كل
شئ في مجمله بغير أن يهبط إلى ما هو قريب منه مباشرة .

ثيودورس : ماذا تعني بهذا الكلام ، يا سقراط ؟ ١٧٤

س : كذلك ، يا ثيودورس ، كان طاليس يراقب النجوم فوق في بئر وهو
شاخص ببصره إلى السماء ، ويقال إن فتاة تراقية كانت تراقبة
فضحكت من ذلك الذي يبذل جهده ليعرف ما يجري في السماء ، في

(٢٠) قارن هذا الكلام بحديث كاليكليس في محاوره جورجياس ٤٨٤ الذي يصف المشتغلين بالفلسفة بأنهم ينتهون
إلى الجهل بأمور السياسة والحديث في المجتمعات العامة والخاصة وبالمسرات واللذات الدنيوية وبعادات
الناس وتقاليدهم.

حين أنه لا يرى موقع قدميه ، وينطبق هذا التشبيه على كل من يقضون حياتهم في الفلسفة ، والواقع أن مثل ذلك الرجل لا يعرف من القريب أو الجار ولا يعرف ما الذي يعمله هذا ولا إن كان رجلاً أو كان من صنف حيوان آخر ، بل هو يبحث ما الإنسان وأي شيء ينبغي أن تتميز هذه الطبيعة عن غيرها في فعلها أو انفعالها ؟ كذلك يكون بحثه ويكون الاستقصاء الذي يكرس له جهوده ، ألسنت تفهم يا ثيودورس أم أنني قد أخطأت ؟!

ثيودورس : أظن ما تقوله حق.

س : على هذا النحو يكون ، يا صديقي ، فيلسوفنا سواء في الحياة العامة أو في الأمور الخاصة كما قلت في البداية ، وعندما ينبغي عليه أن يعالج أشياء تحت قدميه ، قيد بصره ، في المحكمة أو في غيرها فإنه لا يدفع نساء تراقيا إلى الضحك منه فحسب بل كل الجمهور إذ يترك نفسه للسقوط من بئر إلى بئر ومن ارتباك إلى ارتباك لقلّة خبرته وشدة بلاذته اللتين تكسبانه مظهر الغبي . وفي المعارك لا يمكنه توجيه ما ينبغي من السباب لأنه لا يعرف شيئاً عن الشر المنتشر بين الناس لأنه أغفل تعلم مثل هذه الأشياء ولذلك يظل قليل الحيلة مضحكا ، وعند المديح أو المباهاة التي يعجب بها الآخرون فإنه لا يتصنع الضحك . وقد يضحك بطريقة واضحة إلى حد أنه يؤخذ على أنه مستهتر ، فإذا سمع مديحا يكال لطاغية أو ملك فإنه يظنه مديحا موجها لراعي غنم أو سائق خنازير أو بقر إذ يظن أنه يسمع ثناء عليهم لما يجلبونه من حليب ، إذ يظن القطيع الذي يرعاه هؤلاء أصعب مراسا مما يرعاه الملوك والطغاة لذلك فهم مضطرون لأن يكونوا أكثر غلظة من الرعاية في مرابط الغنم ووسط الجبال إذ ينقصهم الفراغ في ملجئهم المغلق بالحوائط ، وإذا قيل له : إن لأحد ما عشرة آلاف ذراع (٢١) من الأرض

(21) acres

أو أكثر وإن هذا يكون ملكية وفيرة يبدو له هذا الوصف بسيطا ، لأنه متعود على استشراف الأرض كلها، أما عن الأنساب التي يزعمونها الناس عن عراقه أصل فلان الذي يمكنه أن يرجع بنسبة إلى سبعة جدود من الأغنياء يستعرضهم فإنه يحكم على من يتباهون بذلك بأن^{١٧٥} بصرهم قليل قصير وأنهم قوم يمنعهم نقص تعليمهم من أن يوجهوا نظرهم إلى وجهة شاملة وأن يقوموا بهذه الحسبة وهي أن للأسلاف ولآباء الأسلاف آلافا وآلافا لا يمكن حصرها سواء كانوا أغنياء أو شحاذين ، ملوكا أو عبيدا . برابرة أو إغريقا وأنه كان لهم عشرة آلاف وعشرة آلاف آخرين في سلالة أي كان من الناس .

فإذا تعاضم أحد بأن له سلسلة من الأسلاف تصل إلى خمسة وعشرين جدا وأنها تنتهي إلى هرقل بن أمفثريون^(٢٢) فهو لا يرى في هذا سوى أعدادا ضئيلة للغاية ، فالجد الخامس والعشرون لا مفثريون نفسه كان حسب ما يتصادف مع أنه الجد الخمسون لهذا الرجل ذي الخمسة والعشرين جدا الذي لم يتحدث عنه . وإنما يسخر الحكيم من أولئك الذين لا يعرفون هذا الحساب ولا يتخلون عن السخف الذي يملأ أوداجهم . وفي كل هذه المناسبات يكون أضحوكة العامة سواء اشتد في احتقاره لما يعتقدون أو كان لا يرى ما تحت قدميه أو ظل جاهلا بالأمور الواقعية .

ثيودورس : كذلك تكون الأشياء كما تقول ، يا سقراط .

س : لكن يا صديقي ، إذا استدريج فيلسوف أحدا من الناس يوافقه على اتباعه في بحثه وسأله : أي خطأ فعلته أنا أو أذى سببته أنت لي ثم جعله يفحص ما العدالة في ذاتها؟ وما الظلم في ذاته؟ وما طبيعة كل منهما؟ ويم يختلف أو يتميز عن غيره؟ أو بحث في سعادة الملوك بما

(٢٢) هو أشهر أبطال الأساطير اليونانية ينسب له اثنا عشر عملا بطوليا

لهم من كدوز من الذهب وانتهى في البحث في الملكية وفي السعادة
والشقاء الإنساني في معانيها وفي حقيقتها والطرق التي تناسب
الطبيعة الإنسانية حتى تحصل بعضها وتتجنب الآخر ، عندما يكون
الذي له تلك النفس الضئيلة المشاكسة مضطرا إلى الإجابة عن هذه
الأسئلة فإن الوضع ينقلب وعليه أن يقوم بالتعويض ، فرأسه هو
الذي يدور في علو شاهق قد علق فيه وهو يسقط من السماء إلى أعماق
لم يتعود عليها فيحدث له دوار ولا يجد ما يقوله ، نطق إلا بالهذر
ويصبح أضحوكة لا للنساء التراقيات ولا لغيرهن فحسب من عديمي
الثقافة ، بل لكل من تربي تربية مخالفة لتربية العبيد كذلك تكون
شخصية الواحد والآخر ، يا تيودوروس . فالواحد منهم الذي تربي على
الحرية الحقيقية والفراغ هو الذي نسميه فيلسوفا ويمكن أن يظهر
سانجا ولا ينفع في شيء ما عندما يفشل في الأعمال الخاصة فلا
يعرف مثلا كيف يثبت غطاء الأسرة وكيف تقام المآدب أو تهذب
الأحاديث المنمقة ، أما الآخر فيمكن أن يؤدي جميع الأعمال بمهارة
وسرعة ولكنه لا يعرف كيف يرفع معطفه على الكتف اليمنى على نحو
ما يفعل الحر من الرجال ، ولا أن يتقن الأحاديث التي تميز حياة ١٧٦
السعادة الحقيقية للآلهة والبشر.

ثيودوروس : اذا أمكنك أن تقنع الجميع بما أقنعتني به الآن من كلام ، يا سقراط ،
لساد السلام ونقص الشر بين البشر.

س : لكن من المستحيل ان ينتفى الشر ، يا ثيودوروس ، اذ سوف يبقى دائما
مقابلا للخير ، ومن المستحيل - أيضا - أن يحل في عالم الآلهة ، بل
إنه يغزو هذا العالم الأرضي والطبيعة الفانية . وهكذا يتضح أنه
ينبغي علينا أن نسرع بالهروب من هنا إلى العالم العلوى ففي هذا
الهروب تشبه بالآلهة بقدر المستطاع ، وأن هذه المشابهة تتم بأن
نصبح عادلين وأتقياء القلوب . والمهم هنا الذي لا يسهل إقناع العامة

به هو أن الدافع إلى التحلى بالفضيلة وتجنب الشر ليس مجرد اكتساب الشهرة . واتخاذ مظهر الفضيلة على نحو ما تقول الثرثرة من النساء وإنما هاك هي الحقيقة بهذا الصدد ، ليس الله بأي حال من الأحوال غير عادل بل هو على العكس من ذلك عدل سطلق ولا يدانيه من كان منا عادلا بقدر الإمكان فبالنظر إلى وجود هذه الصفة أو عدمها تقدر قيمة الإنسان وقدرته الروحانية .

ومعرفة هذا الأمر هي التي تكون الحكمة والفضيلة الحققة ، أما التظاهر بالفضيلة والحكمة وبالميزات الأخرى المختلفة عند الطبقة الحاكمة فإنما هو نوع من الحقارة والضعفة أشبه بالقدرة الآلية عند أهل الصنعة ولا ينبغي أن نخشى من مكر من يرتكب الظلم والفسق في أحاديثه وأعماله لأن مثل هؤلاء الناس يتباهون بأنهم رجال قادرون على مواجهة الحياة العامة ، وليسوا فارغين أو ثقالا وإنما ينبغي أن يقال لهم الحقيقة وهو إنهم يتوهمون ما ليس فيهم وأنهم يجهلون ما ينبغي لهم أن يعرفوه جيدا ألا وهو أن عقوبة الظلم ، ليست مجرد آلام جسدية أو موت قد يحدث أحيانا أن يفلتوا منه بل هو عقاب واقع لا مفر منه .

ثيو دورس : وأي عقاب تقصد ؟

س : هناك نموذجان ، يا صديقي ، يوجدان في عالم الحقيقة الأول إلهي سعيد أما الثاني فهو خلو من روح الله كله تعاسة . وهم لا يتبينون ذلك لأن شدة جهلهم تمنعهم من الإحساس بأنهم إنما يتشبهون بالمثال الثاني حين يرتكبون الظلم ويبعدون عن المثال الأول وحياتهم بأكملها التي تشبه المثال الثاني هي عقاب لهم .

ولكن إذا أخبرناهم بأنهم لم يتخلصوا من تعاستهم فإن المكان ١٧٧

التي من كل شر لن يتقبلهم بعد موتهم وإنما سوف يجتمعون على هذه الأرض بأشباههم ، لأن الأشرار يصاحبون الأشرار ، فلا شك

بأن هؤلاء المراوغين المهرة لن يصدقوا هذا التحذير ويصفوننا بالسذاجة.

ثيودورس : هذا مؤكد يا سقراط .

س : هذا هو ما أعلمه ، يا صديقي ، ولكن ثمة مشكلة يحسون بها ، اتجاه الفلسفة - ذلك الموضوع الذي يعيبونه علينا - وهم يذكرون ذلك فيما بينهم وإذا ما واتتهم الشجاعة الكافية فاستمروا في المناقشة بدلا من أن يهربوا منها فإنهم يجدون قضيتهم التي يدافعون عنها قضية خاسرة ، وينتهون إلى الصمت كالأطفال. لكن كل هذا الكلام ليس إلا استطرادا فلنتركهم هنا حتى لا يجرفنا سيل الموضوعات التي نستطرد إليها بعيدا عن موضوعنا الأصلي ، ولنرجع ثانية إلى حيث كنا .

ثيودورس : بالنسبة لي، يا سقراط ، فإني لا أكره سماع هذه الموضوعات إذا كنت تريد فلنرجع أدراجنا.

تفنيد الدفاع عن بروتاجوراس

رجعة إلى النقد : قضية الإنسان المقياس وأحكام المستقبل

س : أظن أننا بلغنا النقطة التالية : فقد ذكرنا قول البعض إن الوجود دائم التغير ، وفي رأي هؤلاء أن ما يبدو لكل واحد هو حقيقي في كل مرة يبدو له فيها ، ومن بين ما يدعونه - أيضا - بكل حماسة أن كل ما تعده الدولة عادلا فإنه يظل عادلا بالنسبة للدولة التي شرعته طالما ظل قرارها قائما ، أما إذا تعلق الأمر بالخير ، فلا يوجد من يجروء على التمسك بهذه القضية التي تفضي إلى القول بأن ما تظنه الدولة مفيدا لها فإنه يكون مفيدا في حقيقته طالما ظل تشريعها قائما إن لم يكن يعني باسم المفيد شيئا آخر ولكن هذا سوف يحول كلامنا هزلا .

ثيودورس : تماما.

س : فلنتجنب الحديث عن الاسم ولنبحث في المعنى الذي هو وراءه .

ثيودورس : حسنا جدا .

س : أليس الذي تسميه المدينة باسم - المفيد - هو الذي تقصده عندما

تشرع قوانينها؟ ألا تعتقد أن القوانين التي تشرعها مفيدة لها للغاية عندما تشرعها ؟ أم تقصد شيئا آخر عندما تشرع ؟

ثيودورس : لا شيء .

س : أدرك هذه الغاية أم توجد حالات تخطئ فيها المدينة هذه الغاية!

ثيودورس : يحدث أحيانا أن تخطئ . ١٧٨

س : سوف يضطر الجميع إلى قبول النتائج لو أننا اتبعنا هذا المنهج - أي

أن نتناول الموضوع الذي يشمل الفئة الكبيرة التي يدخل المفيد

ضمنها ، وأن هذه الفائدة الكبيرة لتمتد في الواقع لتشمل المستقبل من

الزمان ، فعندما نشرع نحن نعمل حساب الفائدة المستقبلية والذي

سوف يكون مفيدا هو تعبير صحيح .

ثيودورس : تماما .

س : وهاك الموضوعات التي سوف تثيرها بالنسبة لبروتاجوراس وكل

الآخرين الذين يتبعون القضايا نفسها . تقول، يا بروتاجوراس : إن

الإنسان هو مقياس كل شيء ، مقياس الأبيض والخفيف والثقيل وكل

الانطباعات المماثلة بغير استثناء ، وعنده في نفسه المعيار الذي

يرجع إليه وهو يعتقد أن الأشياء تكون كما يحس بها ، وبالتالي يظنها

حقيقة عنده وموجودة بالنسبة له ، أليس هذا صحيحا ؟

ثيودورس : أجل .

س : وفيما يتعلق بالمستقبل منها ، أتقول ، يا بروتاجوراس ، إن عنده

المعيار نفسه الذي سوف تكون عليه ، وإنها سوف تحدث على النحو

نفسه الذي يعتقد أنها ستكون عليه . فبالنسبة للحرارة مثلا إذا ظن

المريض أن حرارته سوف ترتفع فتصل إلى درجة معينة ، في حين

يتوقع شخص آخر العكس كالطبيب مثلا فعلى أي نحو يكون الأمر في المستقبل وتبعاً لرأي أي منهم؟ هل وفقاً لرأي الاثنين معا؟ فبالنسبة لاعتقاد الطبيب لن يكون المريض في النهاية مرتفع الحرارة ولا في حمى أما المريض فيتوقع أن يحدث له كلا الأمرين^(٢٣).

ثيودورس : سيكون هذا أمراً غير معقول .

س : أظن أنه بالنسبة لما سيكون عليه النبيذ من حلاوة أو مرارة في المستقبل فإن رأي المزارع هو الذي سوف يكون له قيمة وليس رأي لاعب القيثارة .

ثيودورس : وكيف ذلك ؟

س : بالنسبة لتوافق أصوات أي معزوفة موسيقية أو عدم توافقها هل يكون رأي مدرب الرياضة فيها أفضل من رأي الموسيقار ؟

ثيودورس : كلا بكل تأكيد .

س . وفي أثناء الاستعداد للمآدب هل يمكن للمتذوق غير الخبير بالطهي أن يصدر حكماً يفوق حكم الطاهي فيما يتعلق بطهي الطعام الذي سيكون؟

إننا لا نناقش ما هو موجود حالياً لكل واحد وإنما ما سوف يكون مذاقه في المستقبل هل يصير الحكم - أيضاً - لكل واحد بحسب ما يبدو له؟ ألسنت ، يا بروتاجوراس ، أفضل الحكام على الأقل فيما يتعلق بإقناع الخطابة التي تجري في المحاكم ؟

ثيودورس : بكل تأكيد ، يا سقراط ، ففيم يتعلق بهذا على الأقل فإنه سوف يفضل الجميع.

س : أي والله ، فلو لم يكن الأمر كذلك لما أقدم أحد على دفع مبالغ طائلة ١٧٩ مقابل الاستماع إليه ، وما لم يكن قد أقنع الذين أتوا إليه ، بأنه لا يوجد

(٢٣) انظر أرسطو (الميتافيزيقا ١٠١٠ب-١١١-١٤) إذ يذكر هذا المتل المستمد من أفلاطون فيقول . إن رأى الجاهل لا يتساوى برأى الخبير في الطب إذا ما تعلق الأمر ببرء المريض أو عدم برئه.

أحد حتى لو كان عرافا يمكنه أن يعرف خيرا منه ما سوف يقع في المستقبل .

ثيودورس : هذه هي الحقيقة الخالصة .

س : أليس في فن التشريع علاقة بالفائدة المقبلة ؟ أليس من المسلم به عند الجميع أن أي مدينة تشرع للمستقبل غالبا ما تخطئ معرفة الأفضل ؟
ثيودورس : بالتأكيد .

س . فلن يضيرنا شيء عندما تذكر لمعلمك أنه يجدر به أن يعترف بأن بعض الناس أحكم من بعضهم ، وأن الأحكم هو المقياس لكني أنا من حيث إنني لا أعرف شيئا لا يجدر بي أن أكون مقياسا بأي حال من الأحوال وإن كان الدفاع . بروتاجوراس قد وضعني في هذا الموقف سواء رضيت أو لم أرض

ثيودورس : يبدو لي ، يا سقراط ، أن هذا هو أهم ما يؤخذ على هذه النظرية . ولكنها تحتوي على ثغرات أخرى إذ إنها تسلم بصحة آراء الآخرين الذين لا يجدون فيما يقرره صديقنا أي حقيقة .

س : وهناك مأخذ كثيرة ، يا ثيودورس ، سوف تضطربنا إلى رفض النظرية التي تقول بأن أي رأي لأي شخص هو رأي حقيقي ، أما عندما يتعلق الأمر بالانطباع الذاتي الوقتي ، وعن مصدر الإحساس والآراء التي تحدث له نتيجة لهذه الإحساسات فسوف يكون من الصعب أن نحكم بنقصها ، بل ربما كانت أمورا لا يمكن رفضها . لأن من يؤكدون وضوحها ويعدونها علوما ربما كانوا على حق ، وعلى ذلك فإن ثياتيتوس لم يخطئ الرأي عندما قال بوحدة الإحساس والعلم لذلك ينبغي علينا أن نلجأ بالموضوع عن قرب كما نصحننا الدفاع عن بروتاجوراس وأن نفحص هذا الوجود المتحرك باختبار معدنه لنرى هل يؤكد الصدق الناتج سلامة المعدن أم يكشف عن تصدعه؟ إن المعركة الدائرة حوله الآن لا ينقصها الحرارة ولا المقاتلون .

ثالث: محاولة في النقد

تفنيد الحركة الشاملة (نقد مذهب هرقليطس) :

ثيودورس: لا شك أن الحماسة زائدة خاصة على ساحل أيونية عند أتباع هرقليطس الذين يتمسكون بالقضية التي يذكرها وهم مستمرون فيها بقوة بالغة .

س: وهو سبب أدعى ، يا عزيزي ثيودورس ، كي نفحصها بأن نعود إليها هذه المرة في أصولها وكما يقدمونها هم أنفسهم .

ثياتيتوس: بكل تأكيد ، ففي الواقع يا سقراط إن مناقشة نظريات هرقليطس أو كما يقول هوميروس ، أو من هم أسبق منهما من رجال ، أفسوس الذين يدعون بأنهم خبراء بها ليس أمرا أيسر مما لو كنت تخاطب قوما قد جن جنونهم ، فهم وفقا لما يذكرونه في كتبهم لا يكفون عن التغير بحيث لا يطيقون الثبات لمتابعة أي دليل أو سؤال أو حتى تبادل الأسئلة والإجابات ، فقدرتهم على السكون والثبات تكاد تصل إلى ١٨٠ درجة العدم . بل أقل من العدم فإن وجهت لهم سؤالا فإنهم يستخرجون من جعبتهم عبارات ملغزة يقذفونها لتتطاير في وجهك مثل السهام فإن طالبتهم بتفسيرها فما أسرع ما تجد نفسك قذفت بغيرها ، وإنك إزاء معنى آخر جديد فلا تصل إلى نتيجة مع أي أحد منهم ، لأنهم على هذه الحال - أيضا - فيما بينهم وبين أنفسهم ولأنهم معنيون كل العناية بعدم إتاحة الفرصة لأي شيء كي يثبت ويستقر ، سواء في أدلتهم أو في عقولهم ، وأظنهم يعتقدون لو أن هناك شيئا ثابتا فإنهم سوف يشنون عليه حربا عارمة ويستبعدونه عن الوجود بقدر ما يستطيعون .

س: ربما تكون قد رأيت هؤلاء الناس، يا ثيودورس ، في معاركهم ولكنك لم تتصل بهم في ساعات هدوئهم ، لأنهم ليسوا رفقاءك وأظنهم يقومون بتفسير هذه النظريات في أوقات فراغهم للتلاميذ الذين يرغبون أن يجعلوا منهم صورة لأنفسهم .

ثيودورس : لأي تلاميذ ، يا صديقي الممتاز ؟ إذ ليس بينهم من هو تلميذ لآخر وإنهم لينبتون بمفردهم فيتلقون إلهامهم المتباين من أي ربح تهب ، وكل واحد منهم يعد غيره عديم المعرفة بشيء . وأود أن أقول : إنهم لن يصاحبونك لا بمحض إرادتهم ولا على مضض ، لذا ينبغي أن نتناول الموضوع وندرسه كما لو كنا نحل مشكلة .

س : هذا اقتراح مقبول ، أما عن المشكلة أليس القدماء أول من نقلوها إلينا حين حجبوا فكرتهم عن العامة بالصور الشعرية ، فقالوا : إن مصدر كل شيء هو المحيط وتيثيس^(٢٤) وأنها المياه الجارية وأن لا شيء ثابت ، أما من جاءوا بعدهم فمن الواضح أنهم كانوا أكثر منهم علما حين برهنوا على ذلك بوضوح لحد إن الأسكافية - أيضا - يمكنهم عند سماعهم أن ينفذوا إلى حكمتهم وأن يكفوا عن الاعتقاد الواهي في موجودات ثابتة وأخرى متحركة ، وأن يعلموا على العكس من ذلك أن الكل يتحرك وهم يكرمون من يستمدون منهم هذه التعاليم ولكن كدت أنسى ، يا ثيودورس ، أن الآخرين قد عارضوهم بتعاليم أخرى ومثالها: أن الحقيقة واحدة ثابتة ، وأن الوجود هو اسم يطلق على الكل ، وأقوال أخرى كثيرة يقولها مليسوس^(٢٥) وبارمنيدس في معارضة هؤلاء ، ويؤكدون أن الكل واحد ثابت في ذاته ، وإنه لا يحل في مكان يتحرك فيه . وفي مواجهة كل هؤلاء يا صديقي ما هو موقفنا ؟ لقد تقدمنا خطوة خطوة بغير أن نلاحظ فوجدنا أنفسنا قد وقعنا بين الفريقين وما لم نجد وسيلة للهرب بأية طريقة فعلينا أن ١٨١ ندفع عن أنفسنا الضربات شأن من تركوا أنفسهم وسط حلبة المصارعة فتنازعهم الفريقان المتصارعان ، وينبغي لنا في رأي أن نبدأ بفحص قضية هؤلاء الذين هاجمونا من البداية ، أنصار التغير ،

(٢٤) OCEANUS المحيط هو أقدم نهر صدرت عنه مياه البحار والأنهار وهو مبدأ كل شيء عند هوميروس وروحه

هي TETHYS تيثيس

(٢٥) مليسوس وبارمنيدس فلاسفة أليون أنكروا الحركة والتعدد وقالوا : إن الوجود واحد ثابت.

فإذا ظهر لنا قيمة ما يقولونه فسوف نوجه جهدنا في الإتجاه نفسه الذي يجذبوننا إليه ونحاول الهرب من قبضة الآخرين ولكن إذا بدا لنا أن سن يقولون بثبات الكل أقرب إلى الحقيقة فسوف نجد لديهم ملاذا يحمينا ممن يقولون بالحركة ، وإذا ظهر لنا أن الفريقين لا يقولون ما هو مناسب فسوف نكف عن قيمة ما هو موجود نحن عديمي المعرفة بعد أن نطقنا بحكم الاستبعاد على أناس محترمين في السن وفي الحكمة لننظر إنن ، يا ثيودورس، إذا كان هناك فائدة من المغامرة في هذه الأخطار ؟ ثياتيتوس : بالطبع ليس من المعقول، يا سقراط، أن نكف عن البحث فيما يدعيه هؤلاء الناس .

س : يبدو أن البحث يفرض نفسه ما دمت راغبا فيه بكل هذه الحماسة ، وفي رأيي، أن السؤال المبدئي للبحث في الحركة هو هذا : ماذا يمكن أن نقوله عندما نؤكد أن الكل يتحرك ؟ وماك هو ما أقصده : أينبغي أن نتكلم عن نوع واحد من الحركة أم عن نوعين ؟ لكس لا تدعني وحدي أقدم رأيي ، ولتأخذ نصيبك في المغامرة ولتخاطر من جهتك أنت - أيضا - حتى نكون شركاء في الجزاء ، ولتقل لي هل تسمي تغيير المكان حركة ، شأن الدوران في المكان نفسه؟ ثيودورس : أجل في ظني .

س : أليست هذه هي أول صورة ؟ ولكن أليس صحيحا إذا ما بقى شيء في مكانه ثم أصابته الشிخوخة أو التحول من الأبيض إلى الأسود أو من اللين إلى الصلابة أو التحول بأي تحول آخر أن توجد هنا صورة أخرى من الحركة ؟

ثيودورس : بالنسبة لي يبدو لي هذا على الأقل صحيحا .

س : بل هو مؤكد، إن هناك صورتين من الحركة هما الاستحالة وحركة
النقلة (٢٦)

(٢٦) هذا التقسيم في محاوره بارميدس (١٢٨) حركة النقل Phora-translation الحركة eKinêsis-mouve
الاستحالة Métabolê-altération

ثيودورس : حق ما تقول .

س : وبعد أن انتهينا من هذا التمييز لنلم بأطراف الحوار مع هؤلاء الذين يدعون أن الكل يتحرك ولنسأل : أتقولون إن الكل يتحرك بهاتين الحركتين حركة النقلة وحركة الاستحالة أم أن جزءا منه يتحرك بالحركتين وجزء آخر بحركة واحدة فقط ؟

ثياتيتوس : لكن ، والله ، لا أعرف ماذا أقول ؟ أظنهم سوف يقولون إن كل شيء يتحرك بالحركتين .

س : أجل ، يا صديقي ، وإلا فإن ما يبدو لهم يتحرك سوف يبدو لهم - أيضا - ثابتا ، ولن يكون لهم بذلك أي حق في العبارة القائلة : إن الكل ثابت.

ثياتيتوس : ما أصدق قولك .

س : فما دام من الضروري أن يتحرك الكل وإلا تغيب الحركة عن كل شيء ، ١٨٢ فكل شيء يتحرك بكل أنواع الحركة دائما .

ثيودورس : بالضرورة .

س : لنبحث هذه النقطة في نظريتهم ، ألم نقل إنهم قد وصفوا تولد الحرارة والبياض وكل الصفات مهما كانت على النحو الآتي تقريبا : أنه يتم لها حركة النقلة في المكان عند حدوث الإحساس المقابل لها في تلك المسافة التي تقع بين الفاعل والمنفعل ، فالمنفعل يصبح حاسا وليس إحساسا والفاعل يصبح متصفا بصفة وليس هو الصفة ؟ وربما كانت هذه الصفة اسما غريبا وغير متداول في نظرك وغير مفهوم في مجموعته لذلك سوف أوضح لك بالأمثلة . فالفاعل لا يصبح حرارة ولا بياضا وإنما حارا أو أبيض وكذلك بالنسبة لكل شيء ، إذ أظنك تذكر ما كنا نقوله مسبقا من أنه ليس هناك ما هو في حد ذاته محدد ، لا الفاعل ولا المنفعل بل يصبحان كذلك بعد اتصالهما ببعضهما الواحد بالآخر ليحدثا الإحساسات والمحسوسات ، فيصير الفاعل منهما متصفا بصفة معينة ، أما المنفعل فيصير حاسا .

ثيودورس : نعم طبعاً ، إنني أذكر هذا .

س : حسن إذن ، وبالنسبة لباقي التفصيلات فلن تهتم بمعرفة على أي نحو يفسرونها أما الموضوع الذي نحن بصدد تفسيره فلنضعه نصب أعيننا ، ولنسأل : هل يتحرك كل شيء ويسيل باستمرار؟ (٢٧) .

ثيودورس : أجل .

س : ألم نفرق بين نوعين من الحركة : النقلة والاستحالة؟

ثيودورس : بلى ، ما دامنا في تغير مستمر .

س : فإذا لم يوجد إلا حركة النقلة دون حركة الاستحالة ، فهل يجوز لنا إذن

أن نذكر الكيفيات التي تكون موجودة فيها عندما نتحرك بهذه الحركة؟

ثيودورس : بلى .

س : لكن ما دام لا يوجد هنا ما هو ثابت ، وأن ما هو في حركة لا يتحرك،

بل يتغير ، أيضاً ، حتى إن البياض نفسه يكون في حركة ويتغير إلى

لون آخر فكيف إذن نطلق عليه اسم لون محدد ونكون واثقين أننا

نسميه تسمية صحيحة؟

ثيودورس : وكيف هذا ، يا سقراط ؟ كيف يمكن لأي صفة من الصفات أن تعرف

باسم معين ما دمنا بمجرد ما نتحدث يقلت منا الشيء الذي نتحدث

عنه بسرعة، لأنه يسيل بحسب تعريفك ؟

س : وماذا تقول عن الإحساسات الأخرى أيا كانت أبصاراً أو سمعاً مثلاً ؟

هل تظل لها طبيعة الإبصار أو السمع ؟

ثيودورس : لا ينبغي أن نقول ذلك بكل تأكيد ما دمنا اتفقنا على أن كل شيء يتحرك.

س : فلا ينبغي أن نسميها إبصاراً أكثر مما نسميها عدم إبصار ولا نعين أي

إحساس آخر على أنه إحساس أكثر منه غير إحساس ، ما دام كل شيء

يتحرك بكل أنواع الحركة .

ثيودورس : كلا لا ينبغي .

(٢٧) السيلان flow-ecoulement

س : ومع ذلك فبحسب ما سلمنا به ، أنا وثياتيتوس ، يكون الإحساس هو العلم.

ثيودورس : أجل هذا ما كنتم تؤكّدانه

س : وفي هذا الحال نجيب على من يسألنا ماهو العلم إننا لا نعني بالعلم ١٨٣ شيئاً آخر غير اللاعلم.

ثيودورس : يبدو هذا .

س : ولإنها لنتيجة رائعة كللت مجهودنا في تحسين الإجابة عندما أخذنا في البرهنة على صدقها بإضافة الحركة الدائمة لها . وهك الصورة التي توصلنا إليها وهي تتلخص في قولنا: إذا تحرك كل شيء ، فإن أية إجابة نقدمها لأي موضوع ستكون صحيحة ، فالقول إنها كذلك أو إنها ليست كذلك يتساويان ، أو إذا أردت أن نتجنب إضفاء صفة الثبات على كلامنا نقول: لن تصير كذلك .

ثيودورس : كلامك صحيح .

س : ماعدا ، يا ثياتيتوس، قولنا كذلك ، أو ليس كذلك إذ لا ينبغي أن نقول «كذلك» لأنها كلمة تنفي الحركة ، ويبقى على من يدعون هذا المذهب أن يشتقوا لأنفسهم لغة أخرى ، إذ ليس لديهم حالياً أية لفظة توافق آراءهم . ربما عبارة «ليس على هذا النحو» ستكون أكثر العبارات تطابقاً لمدلولها المعين.

ثيودورس : إنها أكثر العبارات مناسبة لهم .

س : كذلك ترانا قد وفينا ما التزمنا به نحو صديقك ، يا ثيودورس ، فبعد أن انتهينا من موافقته على أن الإنسان هو مقياس كل شيء بشرط أن يكون إنساناً ذا فكر (٢٨) لن نسلم له بأن العلم هو الإحساس على الأقل طالما التزمنا بالمثل القائل: إن كل شيء يتحرك ، هذا ما لم يكن لثياتيتوس اعتراض آخر يقدمه .

(28) Phronimos homme de sens.

استطراد - حول بارمنيدس

ثيودورس : ما أحسن قولك ، يا سقراط ، لأنه إذا انتهى هذا الموضوع فسوف أكون في حل من الإجابة على أسئلتك وبمجرد ما تبلغ مناقشة قضية بروتاجوراس نهايتها نكون قد وصلنا للحدود المتفق عليها .

س : كلا ، يا ثيودورس ، حتى تنتهي أنت وسقراط من البحث الذي وعدتنا به الآن فيما يدعيه القائلون بأن كل شيء في ثبات .

ثيودورس : أشاب مثلك ، يا ثياتيتوس ، يعلم الشيوخ النكوص من تعهداتهم ؟ كلا، إن الأجدرك أن تعد نفسك لبحث ما بقي على سقراط أن يبرهن عليه .

ثيودورس : سوف يسعدني هذا إذا رغب سقراط وإن كنت أفضل سماع هذا الموضوع .
ثيودورس : عندما تدعو سقراط للحوار فكأنما تدعو الفرسان للنزال في ساحة الوغى ، وليس عليك إلا أن توجه إليه الأسئلة وستكون لك هذه المتعة .

س : ولكن لا أظننى ملبياً دعوة ثياتيتوس ، يا ثيودورس ، فى الموضوعات التى تحدث عنها

ثيودورس : ولم لا تريد ؟

س : أخشى المخاطرة بالقسوة على مليسوس وغيره من القائلين بأن الكل

واحد ثابت وبخاصة بارمنيدس ، إذ يبدو لي بارمنيدس أشبه ببطل كما

يقول هوميروس «مبجل عندي بقدر ما هو مهاب» ، ولقد قابلت هذا الرجل

عندما كنت شابا وكان هو شابا وبدا لي ذا أعماق سامية ، ولذا فإنني

أخشى أن تظل كلماته غير مفهومة لنا وأن يتجاوز فكره فهمنا كما

أخشى ان أرى الموضوع الذي تسبب في نقاشنا وهو تعريف العلم قد

أغفل إزاء غزو الأدلة الصاخبة بمجرد أن نفتح لها الباب من جهة أخرى

فإن الموضوع الذي تثيره في هذه الساعة هو على قدر كبير من التعقيد

ولا يصح أن نأخذه على أنه مجرد موضوع فرعى وقد يترتب على ١٨٤

التعمق في بحثه أن يتشعب الموضوع فنهمل مسألة العلم ، وعلينا أن

نتجنب هذا الخطر ، والأحرى بنا أن نتجه إلى ثياتيتوس وتصوراتهِ عن العلم ونحاول أن نولده بواسطة ما لدينا من فن في التوليد .
ثيودورس : هذا ما ينبغي علينا ان نفعله ما دمت ترى أنه الأفضل .

آخر محاولة للنقد

المعرفة بواسطة النفس

س : حسن إذن يا ثياتيتوس ولنعد إلى البحث في نقطة ما من الموضوع السابق ألم تقل بأن الإحساس هو العلم ؟
ثيا : أجل .

س : اذا سئلت : بأي شيء يرى الإنسان الأبيض والأسود ؟ وبأي شيء يدرك أو يسمع الألحان أو العميق من الأصوات أفلا تقول بالأعين وبالأذان ؟
ثيا : أجل .

س : فسهولة التعامل بالألفاظ والعبارات ، وإهمال الدقة المتناهية ليست دليلاً على قلة التهذيب .. بل الأولى أن يكون العكس ، لكننا نضطر إلى ذلك بعض الأحيان ، كما هو الحال ، في حالتنا الحاضرة ، مثلاً عندما نتناول إجابتك فلتفكر إذن ما هي الإجابة الأصح ؟ أتقول إن الأعين هي ما نرى بها أو إنها الوسائل التي نرى من خلالها ، وإن الأذان هي ما بها نسمع أو إنها الوسائل التي نسمع من خلالها ؟

ثيا : أظن أنها الوسائل التي ندرك من خلالها^(٢٩) كل الإحساسات ، يا سقراط ، ولسنا ندرك بها .

س : وسيكون في الواقع غريباً ، يا صديقي الفتى ، أن تستقر فينا مجموعة من الإحساسات ، كما لو كانت جنوداً مخبأة في جياذ طروادة الخشبية ولا يكون هناك طبيعة واحدة - (نفس أو أي شيء تريد) - تتجمع فيها كل الإحساسات وبها ندرك موضوعات الإحساس من خلال أعضاء الحس .

(29) Through.

ثـيـا : يبدو لي أن هذا التفسير أصبح من الآخر .

س : إن ما أبغى تفسيره يتلخص في معرفة الآتي : هل فينا قوة ثابتة ندرك بها الأبيض والأسود من خلال الأعين وندرك المحسوسات من خلال الحواس الأخرى؟ وهل يمكنك أن ترجع كل هذه الإحساسات إلى الجسم؟ وقد يكون الأفضل أن تجيب أنت مباشرة بدلا من أن أجتهد أنا في الإجابة بدلا منك . أليست كل هذه الحواس التي تدرك بواسطتها الحار أو الجاف أو الخفيف أو الحلو أجزاء من الجسم؟ أم أنها أجزاء من شيء آخر؟

ثـيـا : لا شيء آخر .

س : أتوافقني على التو على أن ما ندركه بواسطة ملكة معينة لا يكون مدركا بواسطة ملكة أخرى؟ وأن الإدراك الذي يأتيك بالسمع لا يمكن أن يأتيك عن طريق البصر وأن الإحساس الذي يأتيك بالبصر لا يمكن أن يأتيك بواسطة السمع .

١٨٥

ثـيـا : كيف يمكن رفض هذا القول !

س : وإذا تصورت محسوسين في وقت واحد بإدراك مشترك فإن هذا الإدراك المشترك لا يأتيك بعضو واحد من أعضاء الحس .

ثـيـا : بالطبع لا .

س : وكذلك فيما يتعلق بالصوت وباللون ، أتدرك بفكرك الصفة الأولى أم كليهما؟

ثـيـا : كليهما طبعاً .

س : وبالتالي يكون كل واحد منهما مختلفا عن الآخر ولكن هو بذاته؟

ثـيـا : أجل بالطبع .

س : إنهما اثنان في مجموعهما ، وكل واحد في حد ذاته واحد .

ثـيـا : أجل أيضا .

س : فهل أنت قادر على تمييز اختلافهما وتشابههما؟

ثـيـا : بلا شك .

س : فبأي عضو إذن تفكر في هذه الموضوعات ؟ إذ إنه ليس بواسطة السمع أو البصر تدرك ما هو مشترك بينهما . وهاك ما يشهد على قولي : لنفرض أنه أمكن البحث عما إذا كان الصوت واللون مالحين أو غير مالحين ، فمما لا شك فيه أنك تستطيع أن تذكر لي القدرة التي تدرك بها هذه الملوحة ، ومن الواضح طبعاً أنها ليست قدرة الإبصار ولا السمع ، بل غيرهما ؟

ثـ : طبعاً لا ، إنها القدرة التي يكون اللسان ألتها .

س : حسناً ما تقول ، ولكن بأي عضو تعمل القدرة التي تكشف لك عما هو مشترك ، لا بين هذه المحسوسات فحسب بل المشترك بين كل الأشياء التي تشير إليها بفعل الكينونة – أي أن يكون أو لا يكون (٣٠) وكل الألفاظ التي ذكرتها في هذا الموضوع في أسئلتنا الأخيرة : فأى الأشياء تنفعل بهذه المشتركات وتتدخل في إدراك كل منهما ؟

ثـ : أتبغي الحديث عن الوجود واللاوجود، عن التشابه واللاتشابه عن الذاتية والاختلاف ، عن الوحدة وعن الكثرة التي تنطبق على هذه الموضوعات ؟. وواضح – أيضاً – أن سؤالك يتناول الفردي والزوجي وكل التصورات الأخرى التي هي من هذا القبيل أي أنك تسأل بواسطة أي عضو جسماني يتم للنفس ادراك هذه الأشياء .

س : إنك لتتابع بمهارة يا ثياتيتوس وذلك هو بالضبط ما أسأل عنه .

ثـ : لكن ، والله ، يا سقراط، إنني أكاد أن أجد إجابة ، غير أنه في رأيي أن المشتركات ليس لها عضو خاص بها شأن المحسوسات ويظهر لي أن النفس بذاتها هي التي تحدث هذه المعرفة بالمشاركات في كل الموضوعات. س : إنك لوسيم، يا ثياتيتوس ، لقد أخطأ ثيودوروس عندما وصفك بالقبح ، فإن الحسن هو من يحسن الكلام ، وإنك لست وسيماً فحسب ، بل محسناً لما تقدمه لي من وفرة في الأدلة إذا ما ظهر لك حقاً أن هناك بعض

(30) estin-est-is

المعلومات تعرفها النفس بطريقتها الخاصة في حين أن المعلومات الأخرى ترجع إلى القوى الأخرى للجسم ، وقد كان هذا في الواقع رأيي الخاص ، ولكنني رغبت في أن توافقني - أيضا - على هذا الرأي .

ثـيـا : وهذا - أيضا - ما يبدو لي .

س : ففي أى مكان تضع إذن الوجود ؟ إذ أن له أكبر قدر من اتساع المدلول (٣١) ١٨٦

ثـيـا : إنني لأدرجه في عداد هذه الموضوعات التي تحاول النفس إدراكها بذاتها وبغير واسطة .

س : ألا تعامل التشابه واللاتشابه والذاتية والاختلاف المعاملة نفسها ؟

ثـيـا : وأيضا - الحسن والقبيح والخير والسيئ ؟

ثـيـا : هذه هي الصفات التي تقوم النفس بالبحث في وجودها وبمقارنتها ببعضها عندما تضع في اعتبارها الماضي والحاضر وتتوقع المستقبل .

س : انتتوقف هنا ، أليس باللمس تحس النفس بصلابة الصلب وليونة اللين على السواء .

ثـيـا : بلى .

س : لكن أليست النفس ذاتها هي التي تقدم لنا الأحكام بوجودهما وبازدواج وجودهما ويتعارضهما ووجود هذا التعارض وذلك عندما نفكر فيها ونقارن الواحد منها بالآخر .

ثـيـا : بكل تأكيد .

س : ألا يتوفر للبشر والحيوان - بمجرد أن يوادوا بالطبيعة - القدرة على الإحساس بكل الإحساسات التي تتجه نحو النفس بواسطة الجسد ؟ لكن التفكير في هذه الإحساسات فيما يتعلق بوجودها وفائدتها ، إنما يحصل لمن يحصلونها بعد جهد طويل في الدراسة .

ثـيـا : هذا صحيح .

س : فهل يمكن لمن لا يصل إلى الوجود أن يدرك الحقيقة ؟

(٣١) يقول عنه في محاوراة السفسطائي (٢٤٢) إنه أكبر التصورات ورئيسها وأنه يتخلل كل الأجناس (٢٩)

ثـيـا : مستحيل طبعا .

س : وحين لا تصل إلى الحقيقة هل يمكن أن يوجد علم ؟

ثـيـا . كيف يمكن هذا ، يا سقراط .

س : فالعلم لا يقوم على الإحساسات ، بل يستند إلى تعقل الإحساسات إذ به

يمكن أن نصل إلى الوجود وإلى الحقيقة لكن بغيره لا يمكن .

ثـيـا : هذا ما يبدو .

س . هل نسمي الشئيين المختلفين باسم واحد ؟

ثـيـا : كلا ، لا يمكن .

س : فبأي اسم تسمي الشئ الأول الإبصار والسمع والشم والإحساس

بالبرودة والحرارة ؟

ثـيـا : أسميه الإحساس ، فهذه هي تسميتي أو هل هناك اسم آخر ؟

س : أي أنه الاسم الكلي الذي تسمي به كل هذه الإحساسات .

ثـيـا : نعم .

س : فإذا نسب الإحساس لأي شخص فلا يعني ذلك أنه يدرك الحقيقة ، إذ لا

يصل الإحساس إلى الوجود .

ثـيـا : كلا بالطبع .

س : ولا يبلغ بالتالي العلم .

ثـيـا : ولا هذا - أيضا .

س : ولا يمكن أن يحدث ، يا ثياتيتوس ، أن يصير الإحساس والعلم شيئا واحدا ؟

ثـيـا : يبدو أن هذا غير ممكن ، يا سقراط ، والآن فقد ثبت بكل وضوح ممكن أن

العلم مختلف عن الإحساس .

س : لكن أكان الموضوع الأصلي هو أن نعلم ما لا يكون علما أم نعرف ما هو

العلم ؟ ومع ذلك فقد حققنا تقدما واضحا وجديا حين تبينا ألا نبحت في

الإحساس بل في ذلك الفعل الذي تقوم به النفس عندما تعكف على ذاتها

عندما تأخذ في دراسة الموجودات أيا كان الاسم الذي تطلقه على هذه العملية (٣٢).

ثـيـا : أظن أن اسم هذا الفعل ، يا سقراط ، هو الحكم (٣٣).
١٨٧
س : إنك لعل حق فيما تظن يا صديقي ، ولتنظر الآن من جديد في المشكلة ،
لتلغ كل ما سبق لنا قوله ، وحاول أن ترى بوضوح ابتداء من النقطة التي
توصلت إليها ، لتذكر لي مرة أخرى ما هو العلم ؟

(٣٢) إن لهذا الفعل مرحلتين : مرحلة الفكر الاستدلالي *Pensee discursive* ومرحلة الحدس *intuition* ، ولم
يتعرض بحث أفلاطون في هذه المحاورة إلا للمرحلة الأولى فقط، ولعل هذا هو سبب فشل هذه المحاورة في
الوصول إلى تعريف للعلم بالوجود-أو تعقل المثل.

(٣٣) الحكم *Doxazein, juger-making judgement*

التعريف الثاني

العلم هو الظن أو الحكم الصادق

التعريف الثاني

العلم (أو الظن) أو الحكم الصادق^(١)

ثيياتيتوس . من المستحيل أن نقول : إنه أي نوع من أنواع الحكم ، يا سقراط ، إذ أن الحكم الخاطئ موجود- أينما ، ولكن هناك احتمال بأن يكون الحكم الصادق ، فلماذا ، فلماذا أن لا أتى هي على هذا النحو ، أما إذا تقدم بنا إلى دراسة فغير من نظرتنا إلى الية نسوف نحاول أن نجد صيغة أخرى .

س . إن الذين لا يجب أن يقال ، يا ثيياتيتوس ، وبثقة بدلا من أن تأخذ في الاعتبار الكذب، تفعل في البداية . لأن المخاطرة بالبحث تنتهي إلى أحد شيئين ، فإما أن نجد الحل الذي كنا نبحث عنه أو أن نكف عن الاعتقاد في صيرفة ما نجهله تماما ، ولا يجدر بنا أن نقلل من قيمة هذا الكسب ، فماذا نقررارك الحالي ؟ إن هناك صورتين من الحكم : الأولى صادقة والثانية خاطئة . ألسنت تعرف العلم بأنه الحكم الصادق؟

س . بلى، في رأيي أن هذه هي الفكرة التي تبدولي في هذه الساعة .

س . فهل يستحق الأمر فيما يتعلق بالحكم أن نرجع إلى نقطة معينة ؟

ث . بلى : أية نقطة تبغي الحديث عنها ؟

س . هناك موضوع حيرني الآن، وقد سبق أن شغلني كثيرا . وسبب لي اضطرابا كبيرا سواء في تفكيري الخاص أو مع الغير ، إذ لا يمكنني أن أذكر طبيعة هذا الموضوع الذي نتعرض له ولا بأية طريقة يحدث^(٢) لنا ؟

ث . بلى : وما هو هذا الموضوع ؟

(١) تعنى كلمة Doxa هنا الحكم أكثر منها الظن كما في ترجمة Dries و Comingford

(٢) العارض الحادث Tropon,-accident

مشكلة الخطأ : المفارقتان ، المعرفة أو عدم المعرفة ، الوجود واللاوجود .

س : إنه الحكم الخاطيء ، إذا أردنا أن ننظر فيه الآن فإني أتردد اذا كان الأفضل أن نتركه جانبا أو أن نبحث عنه بطريقة أخرى غير التي سرنا عليها حتى الآن .

ثـيا : لم نتردد ، يا سقراط، إذا ما ظهر لنا أن البحث ضروري ؟ فمنذ لحظة ، عندما كنت تتحدث أنت وثيودورس عن الفراغ كنتما تقولان في الواقع إن لا شيء في هذه المناقشات مفروض علينا .

س : إنك على حق في تذكيري بذلك وربما يكون من المناسب أن نعود إليه كما يقال على التو ، إذ يبدو لي أن من الأفضل أن نتمم عملا صغيرا من أن نحدث ضجة جوفاء .

ثـيا : هو كذلك طبعاً .

س : وكيف نضع السؤال إذن على الوجه الصحيح ؟ ففي كل الحالات التي نتحدث فيها عن الحكم الخاطيء عندما نقول : إن أحدا يحكم حكما صادقا والآخر خاطئا ، هل نوكد أن هذا التمييز قائم في طبيعة الأشياء ؟

ثـيا : إننا نوكد هذا في الواقع .

س : ألسنا وفقا لهذا الاحتمال إما عارفين أو غير عارفين بالموضوعات كلها ١٨٨ أو بعضها ، أما أن نعلم وننسى ما قد علمناه فهذه مسألة تقع بين الحالتين السابقتين وهو موضوع أؤجله الآن ، لأنه لا يتعلق بالدليل الحالي .

ثـيا : ففي هذه الحال ، لم يبق بالنسبة لكل سؤال إلا أن نعلم أو لا نعلم .

س : ألا يترتب على ذلك أن كل فعل تفكير يقع عند كل من يقوم به، إما على ما يعلم أو على ما لا يعلم؟

ثـيا : هذا هو بالضرورة .

س : أي أنه من المستحيل ألا نعلم ما نعلمه أو نعلم ما لا نعلمه ؟

ثـيا : مستحيل طبعاً .

س : أيمكن إذن بواسطة الحكم الخاطئ أن نأخذ الأشياء التي نعرفها لا على نحو ما هي عليه ، بل على أنها أشياء أخرى نعرفها ؟ وإنه بمعرفتنا بعضًا من الأشياء فإننا نجهل مع ذلك بعضها الآخر ؟
ثـيا : لكن ذلك مستحيل ، يا سقراط .

س : ألا يمكن أن نأخذ الأشياء التي لا نعرفها على أنها أشياء أخرى لا نعرفها على الإطلاق ، أي يمكن إن لم نكن نعرف لاثياتيتوس ولا سقراط أن ننتهي إلى أن سقراط هو ثياتيتوس وإن ثياتيتوس هو سقراط ؟
ثـيا : يمكن ذلك .

س : لكن لا يمكن أن نعد ما نعرفه غير معروف لنا ، ولا أن نعد ما لا نعرف معروفًا لنا .

ثـيا : كلا ، وإلا فإنه سيكون أمرًا عجبًا .
س : فبأي طريق آخر يمكن أن يتكون الحكم الخاطئ ؟ فإذا صرفنا النظر عن هذه الفروض فمن المستحيل أن يحدث أي حكم كان ، حيث إنه سيكون لدينا ، إما معرفة أو لا معرفة ولن يكون الحكم الخاطئ ممكنًا فيما عدا هذه الحدود .

ثـيا : لا ، لن يكون ممكنًا على الإطلاق .
س : ألا ينبغي أن نوجه بحثنا وجهة أخرى بدلا من أن نستمر في وضع التعارض بين المعرفة وعدم المعرفة ، أن ننظر في الوجود واللاوجود ؟
ثـيا : ماذا تعني ؟

س : هذا هو التفسير الأسهل ، إن كان الحكم يثبت ما ليس له وجود على الإطلاق فهو الحكم الخاطئ، أيا كان تفكير من يحكم به .
ثـيا : إن هذا محتمل يا سقراط .

س : لكن كيف نجيب يا ثياتيتوس على من يعترض علينا بقوله : هل تقولون إن هناك شيئًا ممكنًا بالنسبة لأي شخص ؟ هل يستطيع الإنسان أن يفكر فيما ليس موجودًا للمرة سواء بالنسبة لشيء معين أو على الإطلاق ؟ لا بد

أن نجيب على المعترض بقولنا «نعم إذا كان هذا الرأي يعتقد في شيء ليس صحيحا على الإطلاق» أو ماذا يمكن أن يقال؟
ثـيـا : ذلك هو تماما .

س : أو هل هناك حالات أخرى يحدث فيها الشيء نفسه ؟
ثـيـا : وما هي ؟

س : أن يرى أحدهم شيئا ما في الوقت نفسه الذي لا يرى فيه شيئا .
ثـيـا : وكيف ذلك ؟

س : لأن من يرى شيئا معيناً إنما يرى شيئا من الموجودات أو هل تظن شيئا ما أنه من الأشياء التي لا وجود لها ؟
ثـيـا : كلا بالطبع .

س : فمن يرى شيئا معيناً إنما يرى شيئا معيناً موجودا .
ثـيـا : هذا واضح .

س : ومن يسمع شيئا معيناً إنما يسمع شيئا له وجود .
ثـيـا : أجل .

س : وكذلك من يحكم فإنما يحكم على شيء معين .
ثـيـا : بالضرورة .

س : وعندما يحكم على شيء معين فإنما يحكم على شيء موجود .
ثـيـا : هذا هو ما أوافق عليه .

س : أما من يحكم على ما ليس له وجود فهو لا يحكم على أي شيء .
ثـيـا : بالتأكيد .

س : ولكن عدم الحكم على أي شيء يعنى عدم الحكم على الإطلاق .
هذا هو ما يبدو بوضوح .

س : فمن المستحيل إذن أن نحكم على ما ليس موجودا سواء بالنسبة لشيء معين أو على الإطلاق .

ثـيـا : هذا هو ما يظهر .

س : فالحكم الخاطيء هو شىء آخر غير الحكم على أشياء لا وجود لها .

ثـيـا : يظهر أنه شىء آخر .

س : فالحكم الخاطيء ليس ممكنا إذن لو اتبعنا هذه الطريقة أو اتبعنا الطريقة الشائعة.

ثـيـا : كلا بالطبع .

س : فهل ينشأ الحكم بالطريقة الآتية ؟

ثـيـا : بأية طريقة ؟

الخطأ بالإبدال :

س : إننا نصف الحكم بأنه خاطيء عندما يخلط الإنسان في ذهنه بين موجود وموجود آخر ، فهو في هذه الحالة يضع موجودا محل موجود آخر ، وما دام لا يصيب الهدف يسمى هذا بالحكم الخاطيء .

ثـيـا : يبدو لي أن تفسيرك صحيح تماما ، فعندما تحكم مثلا على ما هو جميل بأنه قبيح وما هو قبيح بأنه جميل فإنما نحكم حكما خاطئا .

س : إني أراك ، يا ثياتيتوس ، قد بدأت تتخلص من شعور الهيبة والخشية مني .

ثـيـا : فيم هذا على وجه الخصوص ؟

س : أظنك تحسبني لن أهاجم قولك : بالتفكير الصحيح فيما هو خاطيء ، ولا أسألك عما إن كان السريع يوصف بالبطيء والخفيف بالثقيل ، وإن كانت كل الأشياء الأخرى تتنكر لطبيعتها الخاصة لتسلك في اتجاه الطبيعة المضادة لكنني سوف أكف عن النقاش حتى أبرر جرأتك ، فهل ترى أن الحكم الخاطيء هو الخلط بين الأشياء؟

ثـيـا : أرى ذلك .

س : هل تظن أنه من الممكن أن نضع في فكرنا شيئا بدلا من شىء آخر .

ثـيـا : هذا ممكن طبعاً .

س : وعندما يقع الفكر في هذا الخلط ، أفكر عندئذ في الشئتين معا أم في واحد من الاثنين ؟

ثـيـا : لا بد أن يفكر في الاثنين معا سواء كانا مجتمعين أو واحدا بعد الآخر .

س : كلام ممتاز ، لكن هل تسمي ما أقصد ، بهذا الاسم تفكيراً ؟

ثـيـا : ما الذي تسميه بهذا الاسم إذن ؟

س : هو حوار توجهه النفس لذاتها طوال بحثها في الأشياء التي تبحثها ،

وانني لأعرض عليك هذا التفسير بوصفي إنسانا لا يعلم شيئا على ١٩٠

الإطلاق ولكن أتصور أن النفس عند قيامها بعملية التفكير فإنها لا تفعل

شيئا آخر سوى أن توجه لذاتها حوارا على شكل أسئلة تجيب عليها تارة

بالإيجاب وتارة بالنفي وعندما تصل إلى قرار سواء بسرعة أو ببطء

فإنها تتأكد منه ولا تعود تشك فيه ، وهذا هو ما نسميه بالحكم ، والحكم

تعبير صامت لا للغير بل للذات أو ماذا تقول ؟

ثـيـا : موافق على ذلك .

س : ويظهر لي أن من يأخذ شيئا ما بدلا من الآخر إنما يؤكد لنفسه أن الواحد

منهما هو الآخر .

ثـيـا : وكيف ذلك ؟

س : لتتذكر إذا ما كنت قد قلت لنفسك على نحو بالغ التأكد أن الجميل هو

نفسه القبيح وأن الظالم هو العادل . وفضلا على ذلك - أيضا - لتبحث

إذا كنت قد أخذت على عاتقك أن تقنع نفسك بكل تأكيد أن الواحد هو

الآخر وإن لم يكن حقا إنه على العكس ، ولم تجرؤ ولا حتى في الحلم على

أن تقول لنفسك وبطريقة مؤكدة أن الأعداد المفردة زوجية أو أية عبارة

من هذا النوع .

ثـيـا : حق ما تقول .

س : أعتقد أن أى واحد سواء كان، سليما أو مجنونا تواتيه الجرأة على أن يؤكد

لنفسه بجد أو يحاول أن يقنع نفسه أن الثور هو الحصان أو أن الاثنين

شيء واحد .

ثـيـا : لا أظن ذلك أبدا .

س : إذا كان الحكم والحوار مع النفس شيئاً واحداً ، فلا يمكن لأحد إذن أن يذكر لنفسه أو أن يحكم بأن أحدهما هو الآخر طالما كان يحدث نفسه ويحكم على شيئين معا ، وينبغي أن تسلم لى أنت - أيضاً - بهذه العبارة وهى أن لا أحد يمكنه أن يحكم (٣) بأن الجميل قبيح أو أن المتقابلات الأخرى تختلط.

ثـيا : إني أسلم بما تراه ، يا سقراط ، وأوافق على رأيك هذا .

س : أي إذا فكر الإنسان في شيئين معا ، فمن المستحيل أن يحكم على الواحد بأنه الآخر ؟

ثـيا : هذا ما يبدو .

س : ومن جهة أخرى إذا لم يفكر إلا في شيء واحد ولم يخطر الآخر في ذهنه أبدا فلن تحكم علي الإطلاق بأن الواحد هو الآخر .

ثـيا : حق ما تقول ، إذ سوف يترتب على ذلك أن تتصل النفس بما هو غائب عن وعيها .

س : والنتيجة أنه من المستحيل أن يقع خلط في الحكم سواء فكر الإنسان في شيئين أو شيء واحد ، وبالتالي فإن تعريف الحكم الخاطئ بأنه وقوع خلط في الحكم لن يعني شيئاً ، ولا يبدو لنا أن الحكم الخاطئ يكون على النحو ولا على الصورة التي سبق أن رفضناها .

ثـيا : يبدو أنه ليس كذلك .

س : ومع كل ، يا ثياتيتوس ، إن لم نستطع أن نبين أن الحكم الخاطئ موجود فسوف نقع في عدد كبير من المفارقات (٤) .

ثـيا : أيها مثلاً ؟

س : لن أنكرها لك قبل أن أنتهي تماماً من بحثي ، إذ سوف نخجل من أنفسنا إذا ما اضطربنا اضطرابنا في هذه النقطة إلى الوقوع في المغالطات التي أتحدث عنها ، لكن إذا ما تم لنا الاكتشاف فعندئذ فقط نتخلص من اضطرابنا ونتحدث عن هذه المغالطات بصفاتها منسوبة إلى الغير ، في

(3) Doxazein, juger.

(4) Absurdités.

حين أننا نكون بمنأى عن أي مأخذ يؤخذ علينا ، أما اذا بقى اضطرارنا ١٩١
بغير نتيجة فسوف نصبح مهزومين ، وعلينا أن نستسلم للبرهان يفعل
بنا ما يشاء كبشار يخوض فوق قوم غلبهم دوار البحر ومع ذلك فإنني
أجد مخرجا أنفذ منه إلى بحثي فلتسمع :

ثـيـا : لنتحدث بوضوح .

س : لا أنكر أننا كنا على حق حين سلمنا بما سلمنا به من أنه لا يمكن أن
نأخذ ما نعرف على أنه غير معروف لنا ، وبهذا نخطئ . لكن مع ذلك
فهناك ثغرة يمكن معها أن يكون ذلك ممكنا .

ثـيـا : أتريد ان تتحدث فيما خطر ببالي عندما كنا نفسر الواقع بالمثال الآن :
وهو أنه قد يحدث لي احيانا أنا الذي عرف سقراط أن أرى من بعيد
شخصا لا أعرفه ثم آخذه على انه سقراط الذي أعرف ؟ ففي أحوال مثل
هذه يقع نوع من الخلط الذي وصفته .

س : ألم نستبعد هذا التفسير لأنه يجعل مما نعرف جهلا في الوقت نفسه الذي
هو فيه معرفة ؟ .

ثـيـا : بلى حقا .

س : فلا نأخذ هذا على أنه حل ، وذاك حلا آخر على العكس من ذلك وربما
نجد فيه بعض الثبات والموافقة . ولكن لا ينبغي بعد الحد الذي وصلنا
إليه أن نترك برهانا ما بغير أن نقلبه على كل الوجوه لكي نختبره
ولنتنظر إذا كان هناك شيء له اعتبار بما سوف أقول : هل من الممكن أن
نتعلم شيئا ، إذا لم نكن قد عرفناه من قبل ؟

إبدال التذكرات : انطباعات الشمع :

ثـيـا : أجل طبعاً .

س : ثم نعرف شيئا آخر وشيئا آخر غيره بعد ذلك ؟

ثـيـا : ولم لا ؟

س : لنفرض إذن على سبيل الجدل أنه يوجد في نفوسنا طبقة من الشمع وأنها

تكون عند أحدنا تارة أغزر أو أخف منها عند الآخر وقد تكون عند الواحد أنقى أو أكثف من غيره أو تكون بمقدار معتدل عند البعض .

ثـيـا : جيد جدا .

س : لنقل : إنها هبة من الذاكرة ⁽⁵⁾ أم ربات الفن وكل ما ينبغي الاحتفاظ به في ذاكرتنا ، مما قد رأيناه أو سمعناه أو تصورناه، يأتي إلى هذا الشمع الذي نفترض وجوده فيقبله بما فيه من الإحساسات والتصورات ليحفر عليه ببروز كعلامات ننقشها عليه ، وما ينطبع فيه يكون لنا عنه ذاكرة وعلم طالما ظلت صورته موجودة وما ينمحي ولم ينجح في الانطباع ننساه ولا نعرفه على الإطلاق .

س : فلنفرض أن رجلا له معرفة بالوصف السابق وأنه ينظر إلى شيء حاضر امامه ولا يسمعه ، ألا يمكن لهذا الشخص أن يقع في حكم خاطئ ؟

ثـيـا : وكيف ؟ .

س : أي أن يوجد بين ما يعرف : تارة مع ما يعرف ، وتارة أخرى مع ما لا يعرف ، إذ يوجد فروض أخطأناها حين حسبناها مستحيلة في مناقشاتنا السابقة .

ثـيـا : وماذا أقول عنها الآن ؟

س : هاك ما ينبغي أن يقال في هذا الموضوع . أن نميز أولا بين الحالات الآتية : يستحيل الخلط بين موضوعين معروفين ومتذكرين غير مصحوبين بإحساس حاضر . ويستحيل الخلط - أيضا - بين موضوع معروف وموضوع غير معروف وغير متذكر . ويستحيل الخلط بين ١٩٢ موضوعين أحدهما لا نعرفه على الإطلاق والآخر نعرفه .

كذلك - أيضا - يستحيل أن نخلط بين موضوعين ، لدينا إحساس مباشر عنهما ، كما يستحيل أن نخلط بين موضوع محسوس وموضوع غير

(5) Mnémosyné, la mère des muses.

محسوس ، فهذه - أيضا - حال من المستحيل تحققها أكثر من الحالات السابقة .

كذلك مستحيل أن نخلط بين موضوعين نعرفهما وفي الوقت نفسه نتذكرهما ونحس بهما ، ومستحيل أن نخلط بين موضوعين نعرفهما ولدينا عنهما إحساس مباشر ويقيني كما يستحيل أن نخلط بين موضوعين لا نعرفهما على الإطلاق ، ولا نحس بهما إحساسا مباشرا ويستحيل أن نخلط بين ما لا نعرفه ولا نحس به إحساسا مباشرا ، مع ما لا نعرفه أو نحس به إحساسا مباشرا . فهاك كل الحالات التي يكون من المستحيل علينا أن نحكم بخطئها وتبقى الحالات التالية التي اذا حدث يحدث الحكم الخاطيء .

ثـيـا : أي حالات بالضبط ؟ حتى أفهم على الأقل ، إذ إنني الآن لا أستطيع أن أتتبع .

س : يمكن أن يحدث الخلط بين موضوعات أخرى تعرفها وموضوعات أخرى لا تعرفها - أيضا - وتحس بها أو موضوعات أخرى لا تعرفها ولكنك تحس بها أو تخلط بين موضوعات تعرفها وتحس بها على السواء .

ثـيـا : إن هذا يتجاوز قدرتي على الفهم أكثر مما سبق .

س : دعني أكرر عليك الشرح بالطريقة الآتية : إنني أعرف من ثيودورس وأتذكر من هو ، كذلك لدي عن ثياتيتوس معرفة مماثلة ألا يصح أحيانا أن أراهما ، وأحيانا أخرى لا أراهما ، وأحيانا ألمسهما أو أدركهما بإحساس آخر وأحيانا لا يكون لدي عنهما أي إحساس ومع ذلك لا يقل ما لدي عنكما من تذكر أو علم ؟

ثـيـا : بالتأكيد .

س : هذه إذن النقطة الأولى التي ينبغي أن تفهم من الشرح الذي أود تقديمه : إذ يمكن ألا يوجد إحساس مباشر عن الأشياء التي نعرفها ، كما يمكن أن يكون - أيضا - هذا الإحساس موجودا .

ثيا : انك على حق .

س : ألا يمكن - أيضا - للأشياء التي لا نعرفها على الإطلاق أن يحدث أحيانا
ألا يوجد إحساس مباشرًا وأحيانا أخرى يوجد هذا الإحساس .

ثيا : هذا ممكن - أيضا .

س : لتنظر ، إذن ، كيف يمكن أن تتابعني بطريقة أسهل . ان كان سقراط يعرف ١٩٣
ثيودورس وثياتيتوس لكنه لا يفعل بأي إحساس مباشر عنهما لا عن
الواحد ولا عن الآخر ، فهل لا يستطيع أن يحكم في ذهنه حكما بأن
ثيودورس هو ثياتيتوس أفهمت شيئاً من حديثي أم لا ؟

ثيا : نعم عرفت الحقيقة .

س : إذن ، فهذا المثل هو أول الحالات التي ميزتها في البداية .

ثيا : هذا صحيح .

س : وهناك الحالة الثانية ، إنني أعرف أحكما ولكني لا أعرف الثاني أبداً ، ولا
يحضرني إحساس عن الواحد ولا عن الآخر فسوف يترتب على ذلك أنني لا
أخلط أبداً بين ما هو معروف لي مع ما ليس معروفاً على الإطلاق .

ثيا : هذا صحيح .

س : المثال الثالث : إن لم يكن لدى عن الواحد ولا عن الآخر أية معرفة ولا
يحضرني عنهما أي إحساس . فلن أخلط على الإطلاق بين ما لا أعرف مع
أي واحد آخر ممن لا أعرف .

للتصور مرة أخرى الحالات السابقة في مجموعها وهي التي لن
يحدث فيها حكم خاطئ عنك أنت وثيودورس أي سواء كنت أعرفكما أو
كنت أجهلكما أو كنت أعرف الواحد ولا أعرف الآخر أبداً ، والحال كذلك إذ
إنني طبقت الإحساسات على الاستدلال نفسه فهل تستطيع المتابعة ؟
إنني أستطيع .

س : يبقى ، إذن ، إمكانية الحكم الخاطئ في الحالات الآتية : ان كنت أعرف
من أنت ومن ثيودورس ولي في هذا الشمع المشهور علامتان مرقومتان

عنكما ، أنتما الاثنان كخاتمين في طبقة الشمع وعندما أبصركما من بعيد بطريقة غير متميزة فاني أجتهد بأن أضيف الإحساس البصري الذي يحدث لي عن كل منكما إلى العلامة الخاصة بكل منكما وأن أطابق بين هذا الإحساس والأثر الخاص به حتى يتم التحقق ولكن يحدث أن أفشل في هذه المطابقة مثل من يحتذون الحذاء بالعكس ، فأقلب وضع الأشياء وأضيف الإحساس البصري الذي هو عندي إلى العلامة الخاصة بالآخر أو يحدث بعض الخلط على نحو ما يحدث في المرايا ، إذ تنعكس صورة ما هو على اليمين إلى اليسار فينتهي بي هذا الخطأ^(٦) . إذ يحدث عندئذ أن يؤخذ شيء بدلا من الآخر فنحكم خطأ .

ثـيا : إن هذا محتمل ، يا سقراط ، وإنك لتصف على نحو رائع الخلط الذي يقع في الحكم.

س : وحالة أخرى هي التي نكون عارفين الواحد والآخر ، ولكن يكون لدينا بالإضافة إلى هذه المعرفة إحساس مباشر عن أحدهما وليس لدينا مثله بالنسبة للآخر فمعرفتي عن الواحد لا تطابق هذا الإحساس، وهي حالة عرضتها سابقا ولكنك لم تفهمها .

ثـيا : كلا ، حقا .

س : وهاك خلاصة قولي : إذا كنت تعرف أحدا من الناس وتحس به إحساسا مباشرا وكانت المعرفة به مطابقة لهذا الإحساس فلن يحدث أن تخطئ بين هذا الشخص وأي شخص آخر تعرفه ولديك عنه إحساس مباشر طالما كانت معرفتك به مطابقة للإحساس المباشر به، ألم يكن الأمر كذلك ؟

ثـيا : أجل .

س : وتبقى الحالة التي كانت موضع بحثي والتي يقع فيها الحكم الخاطئ

وذلك بالطريقة الآتية : أن تعرف الواحد والآخر وترى الواحد والآخر – ١٩٤

أيضا – أو تحس بهما بأي إحساس آخر ، ولكن لا تنطبق الإحساسات

(٦) انظر شرح هذه الظاهرة في محاوره تيمايوس ٤٦

الخاصة بكل منهما . فتكون مثل رام بالقوس يصوب في اتجاه مخالف
فيخطئ الهدف ولا يصيبه وهذا هو الخطأ .

ثـيا . هذا صحيح .

س : يحدث الخطأ عندما يوجد إحساس يطابق إحدى العلامتين وتبقى العلامة
الأخرى خالية ، فيأتي العقل ليملاً العلامة الخالية بالإحساس الحاضر
الذي لا يطابقها ، والخلاصة – أنه إذا كان فيما نقوله الآن شيء من
الصحة فإنه يكون من المستحيل أن يقع الحكم الخاطئ فيما لانعرف ولا
ندرك إدراكا حسيا على الإطلاق ، لكن في مجال الموضوعات التي نعرفها
ونحس بها تحدث وتدور الأحكام لتكون تارة صادقة وتارة خاطئة ، فإن
انطبقت الانطباعات الحسية تماما على العلامة المناسبة لها تكن صادقة
أما إذا انحرفت فأخطأت العلامة الخاصة بها كانت خاطئة.

ثـيا : حقا هذا تفسير بديع ، يا سقراط ، أليس كذلك ؟

س : لتسمع البقية حتى تعجب أكثر من ذلك ، إذ إن الحكم الصادق رائع أما
الحكم الخاطئ فهو كريه.

ثـيا : وكيف ننكر هذا ؟

س : هاك هو ما يؤكدونه عن مصدر حدوث الواحد أو الآخر ، يكون الشمع في
بعض النفوس عميقا وغزيرا وأملسا ومخمرا ومخلوطا على النحو
الصحيح فما ينطبع فيه بواسطة الإحساس ينتشر على صفحات النفس ،
كما يقول هوميروس عندما يؤكد مشابهة النفس بالشمع وعندئذ تحدث
الآثار الواضحة التي تتغلغل إلى أعماق كافية لتظل باقية فترة طويلة.
والذين يكون لهم الشمع على هذا النحو يتعلمون بسهولة ويحفظون بدقة
وهم لا يخلطون الإحساسات والآثار ولا يكونون إلا أحكاما صحيحة .
ولأن هذه الآثار واضحة ومثبتة على النحو الصحيح وموزعة على
مسافات كافية فيما بينها فيمكنهم أن يقرنوها بسرعة مع الانطباعات

المطابقة لها ، فتكتسب اسم الموجودات ، وأمثال هؤلاء الناس يطلق عليهم اسم الحكماء . ألا يبدو لك هذا صحيحا ؟ .

ثـيـا : صحيح جدا .

س : لكن عندما يكون للإنسان قلب غليظ على حد قول الشاعر الحكيم أو من لهم قلوب غلف قوامها شمع عكر أو شديد الليونة أو شديد الجفاف . وذوو القلب اللين سريعو التعلم سريعو النسيان وذوو القلب الجاف يكونون على العكس من ذلك ، أما من لهم قلب كثيف وصلد كالحجر الممزوج بالتراب والصدأ فلا تتميز فيه الآثار ولا تكون واضحة في القلوب الجافة إذ تفتقد العمق ولا تتضح كذلك الآثار في القلوب اللينة حين تختلط ببعضها وتظل تتكدس بعضها فوق البعض الآخر بسبب صغر المكان ، ١٩٥ لأن هذه النفس تكون صغيرة للغاية ويزداد غموض هذه الذكريات عما كانت عليه في الحالات السابقة ، فهؤلاء الرجال الذين يكونون معرضين للحكم الخاطئ ، ولأنهم بطيئون ويخلطون الآثار المتذكّرة بما يرونه أو يسمعونها أو يتصورونها فإنهم يبصرون الأشياء معكوسة ويسمعونها معكوسة ويتصورونها معكوسة في أغلب الأوقات . ولذلك يقال عن هؤلاء الناس : إن أفكارهم عن الموجودات خاطئة وأنهم جهلة .

ثـيـا : ما أصدق كلامك يا سقراط .

س : أتؤكد أن الأحكام الخاطئة توجد فينا ؟

ثـيـا : بكل تأكيد .

س : والصادقة ، أيضا ؟ .

ثـيـا : نعم والصادقة .

س : أتؤكد إذن على وجه اليقين ومن الآن أنه قد ثبت تماما فيما بيننا وجود

هذين النوعين من الأحكام .

ثـيـا : ذلك مؤكد تماما .

س . حقا ، يا ثياتيتوس ، إنه أمر مريع وكريه أن يصير الإنسان ثرثارا وهو في سن النضوج .

ثياس : ولم - إذن - تقول ذلك ؟

س : إن عدم فهمي وثرثرتي يؤلماني ، وإلا فبما تصف رجلا ينشد الأدلة في كل الاتجاهات لثقل عقله الذي لا يتقبل دليلا وعندما يأخذ في الالتزام بالأدلة لا يعرف كيف يتخلص منها ؟

ثياس : ولكن لما تتألم أنت من ذاتك ؟

س : ليس بي «عناء» فقط، بل إني أخشى - أيضا - أن اضطر إلى الإجابة : إذا ما سئلت : أي سقراط ، لقد وجدت الحكم الخاطئ ، وأنه لا يكون في الإحساسات وعلاقتها المتبادلة ببعضها ولا في الأفكار ، بل في مطابقة الإحساس بالفكر ، أليس كذلك ؟ ولسوف أجيب بنعم على ما يبدو لي ، وأنا أتباهى أنني قد وصلت معك إلى اكتشاف رائع .

ثياس : في رأيي على الأقل يا سقراط أن الدليل الذي انتهينا إليه ليس نتيجة سيئة .

س : وقد يواصل السائل سؤاله بقوله : ففي رأيك ، إذن ، أن الإنسان لن يخلط بينه أبدا وبين الحصان الذي لا يراه ولا يلمسه، وإنما يتصوره بغير أن يكون لديه عنه أي إحساس ، وسوف أجيب فيما يبدو لي أنه كذلك .

ثياس : معك حق .

س : ولسوف يقول : وعلى ذلك فإن الإحدى عشرة التي ليست شيئا سوى موضوع في الفكر لن يمكن وفقا لهذا البرهان أن تختلط بالاثنتي عشرة التي لا يمكن أن نتصورها ؟ هيا عليك أنت الآن أن تجيب .

ثياس : سوف أجيب عليه بقولي إذا كانت الإحدى عشرة أو الاثنتا عشرة موضوعا للبصر أو اللمس فيمكن أن نخلط بينهما ، ولكن إن لم تكن موجودة إلا في الفكر فلن يحدث على الإطلاق هذا الخلط بشأنها .

س : لنتصور الآن شخصا ما يمكنه أن يتخذ الخمسة والسبعة موضوعا
لبحثه- ولست أعني خمسة رجال ولا سبعة رجال أو أي شيء مماثل ، بل
الخمسـة ذاتها والسبعة ذاتها المماثلتين بوصفهما ذكرى مطبوعة في ١٩٦
كتلة الشمع الموجودة في نفوسنا واللتين يستبعد أن يقع الحكم الخاطئ
فيهما إذا وجد من يبحثهما في ذاتهما ويوجه لنفسه تفسيرات وأسئلة
حول الكمية التي يكونانها ألا ينتهي هذا الشخص إلى أن يقول ويعتقد
أنهما يكونان إحدى عشرة في حين يقول شخص آخر إنهما يكونان اثني
عشرة ، أم أن كل الناس تقول وتعتقد أنهما يكونان اثني عشرة ؟
ثـيـا : كلا ، والله ، فهناك كثيرون يقولون بالأحدى عشرة وإذا تضاعف العدد
المطلوب تضخم الخطأ ، إذ أتصورك تبتغي الحديث عموما عن كل أنواع
العدد.

س : وإنك لعلـى حق في افتراض ذلك ، ولنفكر الآن إذا كان ما نفعل الآن ليس إلا أننا
نأخذ الاثنى عشرة أليست الاثنا عشرة مرقومة في الشمع على أنها إحدى عشرة ؟
ثـيـا : يبدو هذا .

س : ألا يعني هذا أننا نرجع مرة أخرى إلى أدلتنا الأولى ؟ فمن يرتكب هذا
الخطأ يخلط بين شيء يعرفه وشيء آخر يعرفه أيضا ، وقد انتهينا إلى
القول بأن هذا مستحيل ، وكان هذا هو السبب الذي اضطرنا إلى استبعاد
وجود الحكم الخاطئ حتى لا نضطر إلى القول بأن إنسانا واحدا لابد أن
يعرف الشيء نفسه .
ثـيـا : هذا حق .

س : فإذا كان الأمر كذلك فينبغي علينا أن نفسر الحكم الخاطئ بطريقة
أخرى غير انحراف الفكر مع الإحساس ، إذ لو كان الأمر يقتصر على هذا
فسوف يستحيل علينا أن نخطئ في الأفكار الخالصة . والخلاصة أن
علينا نختار بين الفرضين ، إما أنه لا يوجد حكم خاطئ على الإطلاق أو
أنه يمكن ألا نعرف ما نعرفه فأى الرأيين تختار ؟

ثـيـا : وإنه اختيار صعب ذلك الذي تقترحه علينا هنا ، يا سقراط .
س : لكن المنطق لا يسمح بأن نحتفظ بالرأيين معا ، لكن ينبغي أن نحاول كل
شيء إذا حاولنا تجنب الخجل .

ثـيـا : وماذا نفعل ؟

س : أن نوافق على أن نذكر ما هو العلم ؟

ثـيـا : وكيف يكون ذلك بلا خجل ؟

س : يبدو عليك أنك لم تكن على وعي بأن نقاشنا من أوله إلى آخره لم يكن
بحثا في العلم من قبل أشخاص لا يعرفون ما هو العلم ؟

ثـيـا : على العكس إني على وعي كامل بذلك .

س : ألا يبدو لك شيئا غريبا ، ألا نكون عارفين ثم نأخذ في تفسير ما هي
المعرفة ؟ والحق ، يا ثياتيتوس ، أننا قد أفضنا كثيرا وبطريقة سخيفة في
النقاش ، فقد قلنا آلاف المرات «اننا نعرف» واننا لا نعرف ، واننا نعلم
واننا لا نعلم كما لو كان بعضنا يفهم الآخر في الوقت الذي نجهل فيه ما
هو العلم . لكن حتى هذه اللحظة ، ترانا نستعمل لفظي «نجهل» و «نفهم»
كما لو كان من حقنا نحن الذين ينقصهم العلم أن نستخدم هذه الكلمات .
ثـيـا : لكن بأية طريقة تناقش ، يا سقراط ، اذا كنت تريد استبعاد استعمال

الكلمات من مناقشتك ؟

س : لا أستطيع بأية طريقة ما دمت الشخص نفسه الذي أكونه . أما إذا كنت ١٩٧

مجادلا فبأكثر من طريقة ، فإذا وجدت إنسانا من هذا النوع الآن فسوف
يوكد استغناءه عن هذه الكلمات ولسوف يهدم بشدة كل تفسيرات تقع
تحت بصرنا . وما دمنا ، في الواقع ، لسنا سوى سوقة ، ألا تود أن أجرو
على تفسير أي نوع من الأشياء تكونه المعرفة ؟ ففي ظني ورأيي أننا
سوف نستفيد من ذلك .

ثـيـا : لتجرو . بكل تأكيد ، وإذا لم تنجح في الاستغناء عن هذه الألفاظ فسوف
لا نلومك .

الاقتناء والامتلاك - مثال برج الحمام :

س : هل سمعت كيف يمكن تعريف المعرفة؟

ثـيـا : ربما ، غير أنني لا أتذكر تماما الآن .

س : إنها كما يقولون اقتناء العلم .

ثـيـا : صحيح .

س : وسوف نقوم بتغيير طفيف ونقول : إنها ظاهرة امتلاك العلم .

ثـيـا : وما الفرق بين الواحد والآخر ؟

س : ربما لا يكون هناك فرق ، ولكن لتفهم فكرتي قبل أن توجه لي النقد .

ثـيـا : سوف أفهم إن كان ذلك في استطاعتي .

س : يبدو لي ، في الواقع ، أن الاقتناء^(٧) مختلف عن الامتلاك ، فمثلا إذا

اشترينا رداء واحتفظنا به من غير أن نرتديه فلا نقول لمن حولنا إننا كنا

نرتدي رداء نمتلكه ، بل نقتنيه .

ثـيـا : هذا صحيح .

س : لنرى ، إذن ، إذا أمكننا أن نقتني العلم بغير أن نملكه^(٨) وسيكون الحال

هنا أشبه بمن يصطاد بعض الطيور البرية ثم يبني لها قفصا يربيه فيها،

فبمعنى ما أتصور أننا يمكن أن نوكد أنه لدينا ما دمنا نقتنيه أليس هذا

صحيحا ؟

ثـيـا : بلى .

س : لكن ، بمعنى آخر ، لن يكون لدينا على الإطلاق على رغم أنه يمكن

السيطرة عليها بمعنى ما ، ما دمنا قد حبسناها في قفص ملكنا وتصبح

الطيور رهن أيدينا فنأخذها متى شئنا ونمسك بالواحدة تلو الأخرى كلما

بدا لنا ثم نطلقها ونكرر هذا بقدر ما يعجبنا .

ثـيـا : هذا صحيح .

(٧) الامتلاك échein, avoir أما الاقتناء Kektethai posséder

(٨) نمتلكه تملكا كما لو تملكنا الرداء فلبسناه. (أي ملك يدنا)

س : فلنتخيل من جديد شيئاً مثل قفص الحمام ونضعه في هذا الشمع الذي شكلناه في النفوس بشكل معين ولنجمع في هذا القفص كل أنواع الطيور البعض في مجموعات منفصلة والبعض الآخر في مجاميع صغيرة والباقي أفراداً تروح وتجيء وسط الأخريات بحسب ما تهوى في الطيران.

ثـيـا : فلنفترض أننا فعلنا هذا فما الذي يحدث ؟

س : لنؤكد أن هذا القفص إنما يكون خالياً عند الأطفال ولنتصور أن الطيور ١٩٨ فيه ترمز للعلوم ، وأن كل ما نكتسبه من علوم نضعه في هذا القفص ونقول إننا تعلمنا أو إننا اكتشفنا موضوعات العلم في ذواتنا، وهذا هو معنى المعرفة.

ثـيـا : ليكن هذا .

س : والآن بالنسبة لمن يهوى صيد أي علم من هذه العلوم أو اقتنائها أو تركها لتنظر بأية كلمة ينبغي أن تسمى . أبا لأسماء نفسها مثل أول مرة لاكتسابها أم بأسماء أخرى مختلفة وهاك ما سوف يجعلك تفهم بطريقة أوضح مما أقول . هل تقول إن الحساب فن ؟

ثـيـا : أجل .

س : لتعتبره صيدا للعلوم في مجال الزوجي والفردى .

ثـيـا : سوف أعتبره كذلك .

س : فإلى هذا الفن ندين بمعرفة علوم متعددة وقدرة نقلها إلى الغير عندما نقوم بنقلها .

ثـيـا : أجل.

س : ففي تسمياتنا يكون النقل هو التعليم ، أما التلقي فهو التعلم والامتلاك بواسطة الاقتناء في هذا القفص هو العلم؟

ثـيـا : تماما .

س : لتوجه انتباهك الآن إلى ما يلى : هل يجوز للرياضي الماهر ألا يعرف الأرقام ؟ ألا توجد كل الأرقام في نفسه ؟

ثـيـا : أجل طبعاً .

س : ألا يستطيع مثل هذا الشخص أن يعد في باطنه هذه الأعداد أو يعد بعض الأشياء الخارجية التي لها أعداد ؟

ثـيـا : طبعاً كيف لا يستطيع ؟

س : لكن العد يعرف عندنا بأنه البحث عن العدد المطابق .

ثـيـا : هذا مؤكد .

س : يبدو إذن أن الشخص الذي يعرف جميع الأعداد كما قلنا يأخذ في البحث عما يعرفه كما لو لم يكن يعرف على الإطلاق . ألم يحدث لك أن سمعت مثل هذه الاعتراضات ؟

ثـيـا : نعم قد يحدث هذا .

س : ولنرجع إلى صيد الحمام واقتنائه ونقول : إنه كان هنا نوعان من الصيد، أحدهما يسبق الاكتساب وينشأ الاقتناء . والثاني يحدث عندما يتم اقتناء الحمام ثم يبغى الإنسان أن يمتلك ويمسك بيده ما قد اقتناه قبل ذلك وبالمثل فإن العلوم التي اقتنيناها من زمان طويل وكنا قد تعلمناها يمكن أن نعود إلى معرفتها من جديد بأن نتناول علماً من العلوم وأن نمتلك هذا العلم الذي كنا نقتنيه منذ زمن طويل بغير أن يكون حاضراً في فكرنا .

ثـيـا : هذا حق .

س : لقد كان هنا معنى سؤالي : فبأي الأسماء نسمي عالم الحساب الذي يأخذ في العد أو اللغوي الذي ينخرط في القراءة ؟. أيكون كل منهما في مثل هذه الحالات قد شرع يتعلم من جديد ما في نفسه من أشياء قد سبق أن عرفها . ؟

ثـيـا : سيكون هذا أمراً عجيباً ، يا سقراط .

س : أم أتؤكد أنه لا يعلم على الإطلاق تلك الأشياء التي قد شرع في قراءتها أو عدها بعد أن نسبنا إليه أنه يعرف كل الحروف وكل الأعداد .

ثـيـا : لكن هذا - أيضا - سوف يكون غير معقول.

س : أتوافقني على أنه سوف لا يعيننا من يأخذ في اللهب بتقليب عبارات مثل «أن نعرف»، أو أن «نتعلم» طالما كنا لا نعنى بالألفاظ؟ وقد تم لنا تعريف أن اقتناء العلم يختلف عن امتلاكه وقد أكدنا أنه من المستحيل عدم اقتناء ما هو مقتنى ويمكن كذلك بالنسبة للذى يعرف أن يقع فى الحكم الخاطئ لأنه قد يحدث له ألا يتناول علما صحيحا بل علما بشئ آخر بدلا منه، عندما يكون بصدد صيد علم معين فيخطئ الهدف ويمسك بمعرفة بدلا من الأخرى ، ففي هذه الحالة، يمكن أن يأخذ الأحد عشرة بدلا من الاثنى عشرة لأنه قد يصطاد من باطنه معرفة الأحد عشرة بدلا من معرفة الاثنى عشرة كما لو قبض على حمامة برية، فى حين كان يريد الإمساك بحمامة داجنة.

ثـيـا : هذا هو التفسير الصحيح.

س : وإذا حدث العكس فقبضنا على ما كنا نريد الإمساك به ألا نكون سالمين من الخطأ، وأن ما نذكره فى حكمنا هو أشياء موجودة فعلا، فبهذه الطريقة توجد الأحكام : وما كانت لتثقل كاهلنا، ألا توافقني على ذلك؟ أم ماذا سوف نفعل؟

ثـيـا : إني أوافقك .

س : فها نحن ، الآن ، قد تخلصنا من متناقضات مثل : لا يمكن معرفة ما هو معروف ولا نعود إلى القول بعدم اقتناء ما نقتنى ، على أى حال ، سواء كنا على خطأ أو لا ، ولكن هناك نتيجة أخرى يبدو لي أنها أخطر بكثير.

ثـيـا : وما النتيجة ؟

س : إنه فى حالة اختلاط العلوم ينشأ الحكم الخاطئ .

ثـيـا : وكيف هذا

س : أولا حين نجهل أننا نعلم موضوعا معيننا لا بصفة الجهل بل بنوع من المعرفة الخاصة ثم نحكم على هذا الموضوع وبالعكس ، ألا يكون هذا

اختلالا في العقل (٩) ؟ فالنفس في هذه الحالة يوجد بها العلم ولكنها تفشل في التعرف على أي شيء منه بل تجهل كل شيء فبموجب هذا التفكير يمكن للجهل أن ينتج لنا معرفة وللعلم أن ينتج لنا إبصارا ما دامت المعرفة تنتج جهلا .

ثـيـا : ربما نكون قد أخطأنا ، يا سقراط، عندما شبهنا العلوم بالطيور وقد كان الأجدر أن نضع مجهولات لا علوما تتعارض مع العلوم في داخل النفس وعلى ذلك فإن الصياد يأخذ العلم تارة والجهل تارة أخرى ويحكم خطأ عن جهل ويحكم بصدق عن العلم.

س : سوف يكون من العسير ، يا ثياتيتوس، أن نرفض ما تقول ولكن لنبحث ٢٠٠ مرة أخرى في التفسير الذي نقترحه ، فعلى حد قولك إن من يأخذه اللا علم - الجهل فهو ذلك الذي يحكم خطأ أليس كذلك ؟

ثـيـا : أجل .

س : ولكنه لا يظن أنه يحكم خطأ على الإطلاق .

ثـيـا : طبعا لا

س : بالعكس سوف يظن أنه يحكم بصدق ويوصفه رجلا يعلم سوف يتناول الأشياء التي يخطئ هو فيها .

ثـيـا : وكيف ذلك ؟

س : ولسوف يعتقد أن غنيمة صيده إنما نشأت عن العلم لا عن اللا علم .

ثـيـا : كلام واضح .

س : ها نحن الآن بعد طواف طويل قد وقعنا في الحيرة نفسها التي كنا عليها في البداية ولسوف يسخر ناقدنا بقوله : أمن الممكن، أيها القوم الممتازون، أن يعرف الإنسان علما وجهالة معا، وأن يظن الواحد منهما الآخر ؟ أم أنه لا يعرف الواحد ولا الآخر ولا العلم ولا اللا علم ويأخذ ما لا يعلم محل شيء آخر مما لا يعلم ؟ أم أن يعرف الواحدة ولا يعرف

(9) Dérison.

الأخرى وأن يأخذ ما يعرف محل ما لا يعرف؟ أم أن يظن ما لا يعرف أنه ما يعرف؟ أم تقولون لي إن العلوم واللا علوم هي موضوعات لعلوم جديدة يحفظها مقتنيها في قفص معين غريب الشكل أم في ما لا أعرف من كتل شمع وأنه طالما اقتناها فهو يعرفها في اللحظة نفسها التي لا تكون ملموسة في نفسه مباشرة؟

وإنكم لتتركون أنفسكم عرضة للرجوع إلى النقطة نفسها بواسطة آلاف الدورات بغير أن تتقدموا خطوة؟ فبم تجيب عن هذا، يا ثياتيتوس؟

ثيا: لكن، يا سقراط، لا أجد ما أجيب به عن ذلك.

س: أليس الحوار، يا بني، هو الذي يجعلنا شريين بحق وهو الذي بين أننا أخطانا عندما بحثنا في الحكم الخاطئ قبل أن نعرف ما هو العلم؟ فمن المستحيل أن نعرف الأول قبل أن نكون تصورا مناسباً لما يمكن أن يكون العلم عليه.

ثيا: من الضروري، يا سقراط، أن نفكر على نحو ما نقول بعد النقطة التي وصلنا إليها.

الواقع المؤكد: البرهان القضائي

س: فإذا أخذنا المسألة من مبدئها فعلى أي نحو نعرف العلم؟ أليس من المؤكد أننا لم نكف بعد عن البحث؟

ثيا: كلا ما دمت أنت لم تكف بعد عن هذا.

س: لتذكر بأية طريقة يمكننا تعريف العلم على أحسن وجه وبغير أن نقع في التناقض مع أنفسنا؟

ثيا: بالطريقة التي سرنا عليها، فيما سبق، يا سقراط، إذ لا أجد أنا أية إضافة أخرى على هذا.

س: وكيف كان ذلك؟

ثيا: إن الظن الصادق^(١٠) هو العلم. فنحن لا نخطئ عندما نعتقد فيما هو الحق وأن النتائج التي تترتب على ذلك القول كلها مرضية.

(10) True belief.

س : ان المرشد الذي كان يقود ثياتيتوس من الأعماق إلى الشاطئ كان يقول له: سوف نرى جيذا عندما نصل «فإذا فعلنا بالمثل فتابعنا بحثنا بالسير قدما فربما يتصادف أن ما نبحث عنه يأتي ليقع تحت أقدامنا ، غير أن الوقوف في المكان نفسه لن يوضح لنا شيئا».

ثيا : معك حق ، فلنتقدم ونواصل البحث . ٢٠١

س : لن يكون هناك إلا بحث قصير إذ يوجد فن يبين لك ، العلم ليس هو ذلك على الإطلاق .

ثيا : فبأي دليل ، إذن، تعرفه وأي فن يكون هذا ؟

س : فن أكبر أساتذة الحكمة هؤلاء الذين يسمون بالخطباء والبلغاء في الدفاع ونوع الإقناع الذي ينتجه فنهم لا يحدثونه أبدا بالتعليم ، بل بأن يولدوا الآراء التي تعجبهم . أتظن أن هناك أساتذة لديهم مهارة تمكنهم من أن يعلموا حقيقة الواقع عن حادث سرقة أو عنف لمن لم يشهد شيئا في أقل قدر من الزمان .

ثيا : أظن أن هذا لا يتم بالتعليم أبدا بل بالإقناع .

س : ألا تظن أن الإقناع هو الذي يجعلهم يعتقدون في شيء ما ؟

ثيا : هو ذلك طبعا .

س : عندما يقتنع القضاة العادلون بوقائع يقدمها شاهد عيان ثم يحكمون بناء على الرواية التي يسمعونها ويعتقدون بصحتها ، فإنهم لا يحكمون عن علم ، بل عن سماع، وعن ظن صادق قدم لهم وإن كان اقتناعهم راسخا وحكمهم صحيحا .

ثيا : هذا صحيح تماما .

س : لكن حتى لو اتفق الظن الصادق والعلم في المحكمة فإن القاضي الحصيف لن يحكم بناء على ظن صادق وبدون العلم . ولذا يبدو الآن أن الظن الصادق والعلم مختلفان .

التعريف الثالث

العلم هو الظن الصادق المصحوب بالبرهان

التعريف الثالث : العلم هو الظن الصادق ^(١) المصحوب بالبرهان ^(٢)؛

ثيا : أجل ، يا سقراط، فقد سمعت من شخص ما هذه التفرقة بين العلم والظن الصادق، وكنت قد نسيتها ولكن ها هي الآن تظهر لى، كان هذا الشخص يقول: إن الظن الصادق المصحوب بالبرهان هو العلم، أما ما يخلو من البرهان فليس بعلم. وبناء على ذلك فإن ما لا يقبل برهانا لا يكون موضوعا للعلم فى حين يكون ما يقبله علما. هذا هو قوله.

س : ما أحسن هذا الكلام، لكن لتخبرنى كيف كان يفرق بين تلك الموضوعات القابلة للعلم والموضوعات غير الصالحة للعلم حتى نرى إذا كان ما قد سمعته يتفق مع ما سمعته أنت.

ثيا : لست واثقا من قدرتى على تذكرها، لكنى إذا ما سمعت أحدا يعرضها فأظن أنى أستطيع أن أتعرف عليها.

س : لتسمع حلما خطر لى فى مقابل حلمك، فقد اعتقدت أنى سمعت قولاً يتلخص فى أن ما يسمى بالعناصر الأولية التى نتكون منها نحن وكل الأشياء الأخرى لا تقبل التفسير العقلى – البرهان –، ويمكن لكل واحد منها أن يكون له بذاته ٢٠٢ وفى ذاته اسم ومن المستحيل أن نضيف له شيئا آخر فنقول : إنه موجود أو إنه ليس موجودا، إذ سيكون معنى هذا الكلام أننا نضيف له الوجود أو اللاوجود، فى حين أنه لا ينبغى أن نصفه بشيء، فلا نقول هو ذاته même إن كان الذى نود الحديث عنه موجودا على حدة. ولا ذلك – cela – ولا كل واحد chacun ولا بمفرده ولا هذا – إذ لا ينبغى أن تضاف إليه هذه الصفات ولا أى وصف آخر

(١) Alêthê Doxa: true belief -Opinion vraie الظن انصادق وكلمة Doxa هنا تعنى الفكرة الصحيحة أكثر مما تعنى الحكم الصادق وهذا المعنى وارد فى الترجمة الفرنسية والإنجليزية لدييز وكورنفورد "opinion" وليس jugement

(٢) Metà logon : account, raison اللوغوس فى الأصل الكلمة والمنطق والعقل – والمعنى هنا البرهان أو التفسير العقلى أو الدليل المنطقى ويقال – أيضا – فى ترجمتها «الحق» والعلم Epistémé

مشابه، فهذه الألفاظ تستخدم فى كل مكان وتنسب لكل شىء ولذلك فإنها تظل مختلفة عما تنسب إليه بشكل واضح. وإذا افترضنا أنه يمكن التعبير عن أى عنصر من العناصر بصيغة خاصة به فلا ينبغى أن نلحق به أية صفة أخرى، ولذلك يستحيل التبرير عن أى عنصر من العناصر بأى برهان عقلى، بل بالاسم فقط لأن الاسم وحده هو كل ما يخصه، أما إذا تناولنا المركبات التى تتكون من هذه العناصر فإنما تتشابه أسمائها على نحو ما تتركب هى، وتداخل الأسماء ينتج لنا البرهان Logos. إذ ليس البرهان سوى تركيب من الأسماء. فعلى هذا النحو تكون العناصر، لا معقولة ولا معروفة بل يمكن إدراكها بواسطة الحس، فى حين أن المركبات ذات المقاطع Syllables تصبح معروفة ويمكن تفسيرها، وهى موضوعات للظن الصادق. وعندما يكون الإنسان ظنا صادقا عن شىء ما بغير برهان فإن فكره يكون صادقا ولكنه لا يبلغ العلم به فمن لا يستطيع أن يقدم ولا أن يتقبل برهانا لموضوع ما فإنه لا يكون لديه علم بهذا الموضوع، لكن إذا أضيف هذا البرهان إلى ما عنده من تصور فقد استكمل إذن العلم التام، أليس هذا ما حلمت بأنك سمعته؟

ثيا: هو كذلك تماما.

س: هل يرضيك هذا الكلام؟ وهل تقول بعد ذلك إن الظن الصادق (٣) المصحوب بالبرهان هو العلم؟

ثيا: بكل تأكيد.

س: هل تم لنا الآن، يا ثياتيتوس، أننا وضعنا أيدينا على ما قد أفنى فيه عديد من الحكماء أعمارهم بغير أن يستطيعوا أن يبلغوا ما يبحثون عنه؟

ثيا: يبدو لى، يا سقراط، أن كلامنا الآن ينطوى على تعريف مقبول.

س: هذا ما يبدو فى الواقع، فماذا يمكن أن يكون العلم سوى أنه برهان وظن صادق؟ غير أن هناك شيئا ما كنا نتحدث عنه الآن لا يرضينى.

ثيا: وما هو؟

(٣) ظن صادق. True belief : Opinion droite.

س : ما قد قيل وظهر من أن ألطف الأشياء أى العناصر لا تعرف وأن ما هو من قبيل المركبات - كالمقاطع - يمكن معرفته.

ثيا : أليس هذا صحيحا ؟

س : هذا ما ينبغي علينا أن نعرفه ، ويمكن أن نقول إن لدينا النماذج ذاتها التى استخدمت لصياغة هذه المبادئ كضمان للقضية.

ثيا : وأى نماذج.

س : تلك التى تقدمها لنا حروف الهجاء. ومبادئ الكتابة ومقاطع اللغة أو تعتقد أن هناك شيئا آخر كنا نفكر فيه ؟

ثيا : لا شيء آخر

هل يمكن للعناصر المجهولة أن تنشئ كلاما معلوما؟

س : ينبغي أن نرجع إلى هذا المثال ونضعه موضع الاختبار أو نسأل أنفسنا ونرى ٢٠٣ إن كنا قد سرنا على هذه الطريقة عند تعلمنا للحروف الهجائية أم لا ؟ وأول سؤال يخطر بهذا الصدد : هل حقيقة أن المقاطع SYLLABES وحدها هى القابلة للتفسير العقلى فى حين أن الحروف ليست كذلك ؟

ثيا : ربما كان ذلك صحيحا.

س : ربما فى رأى الخاص، افرض أنك سئلت عن المقطع الأول فى كلمة سقراط فقول لك أى ثياتيتوس لتقل لنا ما هو سو SO فبم تجيب ؟

ثيا : انها س S و«واو» O.

س : وهل تجد فى هذا الكلام تفسيرا مقنعا للمقطع ؟

ثيا : أظن ذلك.

س : فلنر إن تختبر بالطريقة نفسها معقولية ال س.

ثيا : وكيف نبحث عن عناصر الحرف الواحد؟ ذلك لأن ال «س» فى سقراط هو حرف جاف CONNISONNE فهى ضجة بسيطة شأن صغير اللسان، أما الباء فهى على العكس من ذلك ليس لها صوت ولا ضجة خاصة بها ، وهذا هو الحال فى معظم

الحروف^(٤) لذلك فمن الصحيح أن نصفها بأنها لا تحتل أى برهان عقلي ، ذلك لأن حتى أوضحها، وهى الحروف السبعة الصوتية لا تتضمن سوى الصوت ولا تحتل أى تفسير عقلي.

س : هناك إذن ، يا صديقى، نقطة قد أحسنا وضعها فيما يتعلق بالعلم.

ثيا : هذا واضح.

س : والآن هل كنا على حق حين قلنا إن الحرف غير قابل للمعرفة فى حين أن المقطع يتقبلها ؟

ثيا : يبدو ذلك.

س : لنرى إذن، المقطع ، فى رأينا، حرفان أم هو مجموع الحروف إذا وجد أكثر من حرفين أم صورة معينة ناتجة عن تجمعها ؟

ثيا : إنها مجموع الحروف على ما أظن.

س : ألا يكون حرفا السين «س» والواو «و»، المقطع الأول من اسمى بحيث اذا ما عرف أحد ما المقطع الأول من اسمى عرف الحرفين.

ثيا : طبعا.

س : إنه يعرف إذن الـ س والواو

ثيا : أجل.

س : لكن كيف ؟ كيف لا يعرف كل حرف على حدة فى حين أنه يعرف كليهما معا ؟

ثيا : سوف يكون ذلك غير معقول ، يا سقراط.

س : لكن إذا كان لابد من معرفة كل واحد على حدة لكى نعرف الاثنين معا فسوف

ينبغى بالضرورة أن نعرف مقدما الحروف إذا أردنا معرفة المقطع وهذا هو

السبب الذى يجعلنا فى مأزق.

ثيا : حقا بالضرورة.

س : ذلك لأننا لم نعرف كيف نلاحظ جيدا؟ فالذى كان يجب أن يحدث هو أن للمقطع

صورة معينة متميزة ناتجة عن الحروف ولكنها مختلفة عنها.

(٤) أو العناصر الأولية للكلمات.

ثيا : صحيح تماما، إذ أن هذا الرأي أصح من الرأي الآخر.

س : هذا ما ينبغي علينا أن نفحصه، إذ لا ينبغي أبدا أن نهمل تفسيراً ممتازاً بغير دفاع قوى.

ثيا : كلا طبعاً.

س : والآن وقد تم لنا إثبات وجود صورة واحدة ناتجة عن تركيب العناصر، كما هو الحال بالنسبة للمقطع والحروف وكذلك الحال فى كل المركبات الأخرى. ٢٠٤
ثيا : بكل تأكيد.

س : فلا ينبغي أن يكون لها أجزاء.

ثيا : ولماذا؟

دليل جلدلى :

س : لأن كل ما له أجزاء يتكون من مجموع الأجزاء، أو أنك تقصد أن لكل الناتج عن الأجزاء صورة أخرى مختلفة عن مجموع الأجزاء؟^(٥).

ثيا : نعم هذا ما أقصده.

س : أعتبر مجموع الأجزاء هو والكل شيئاً واحداً أم شيئين مختلفين ؟

ثيا : لست متأكداً بهذا الصدد، ولكن تبعا للمبدأ الذى اتفقنا عليه من ضرورة تحملى للمخاطرة فإننى أقول إنهما مختلفان.

س : إن جرأتك فى محلها ، يا ثياتيتوس، لكن هل تظل الإجابة كذلك؟ إن هذا موضع نظر.

ثيا : ينبغي إذن أن ننظر.

س : فتبعا لرأيك الآن يوجد اختلاف بين الكل وبين المجموع.

ثيا : أجل .

س : حسن لكن يمكن أن يختلف المجموع عن كل الأشياء التى يحتوى عليها فنقول مثلاً : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، أم اثنان فى ثلاثة، أو ثلاثة زائد

(٥) انظر تعريف الكل على أنه صورة واحدة متميزة فى محاوره بارمنيدس ١٥٧هـ - وأرسطو الميتافيزيقا ١٠١٦ أ.

اثنين زائد واحد، ففي كل هذه العبارات نعبر عن الشيء نفسه أم عن أشياء مختلفة ؟

ثيا : عن الشيء نفسه .

س : ليس شيئاً آخر سوى الستة ؟

ثيا : لا شيء آخر.

س : ألم نعبر عن الستة بكل هذه العبارات ؟

ثيا : أجل .

س : ألسنا نعني شيئاً حين نقول المجموع ؟

ثيا : طبعاً بالضرورة.

س : وهل المجموع شيء آخر غير الستة ؟

ثيا : كلا.

س : ففي كل شيء مركب من عدد يكون ما نعنيه بالمجموع وجملة الأشياء شيء واحد ؟

ثيا : هذا ما يظهر.

س : لنوضح الأمر لأنفسنا في هذا الموضوع بالأسئلة التالية : هل العدد الذي يكون «البليثرون»^(٦) المربع و«البليثرون» شيء واحد ؟

ثيا : أجل.

س : وكذلك يكون الحال بالمثل بالنسبة للعدد من «الاستاديون»

ثيا : أجل

س : وبالمثل يكون عدد الجيش وكل الأشياء الأخرى التي هي من هذا القبيل، إذ أن مجموع العدد الذي هو في كل منها متحد في الوقت نفسه بحقيقتها الإجمالية.

ثيا : أجل

س : لكن العدد في كل منهما شيء آخر غير أجزائها ؟

ثيا : نعم شيء آخر.

(٦) باليونانية aspent-plethron هو مقياس طولى طوله حوالى ١٠١ قدم. وهو سدس الاستاديون stade وهو حوالى ثمن الميل الرومانى

س : فكل ما يتجزأ مكون من أجزاء.

ثيا : بكل وضوح.

س : لكن إذا سلمنا بأن كل الأجزاء تتساوى بالمجموع فإن مجموع العدد ينبغي بدوره أن يساوى الشيء بجملته.

ثيا : موافق.

س : فالكل le tout لا يتكون إذن من أجزاء وإلا فسوف يصبح مجموعة من الأجزاء.

ثيا : يبدو أنه ليس كذلك.

س : لكن هل يمكن للجزء أن يكون جزءا لشيء آخر غير الكل الذى ينتمى إليه؟

ثيا : نعم للمجموع.

س : إنه لعراك عنيف، يا ثياتيتوس، لكن ألا يعنى المجموع الجملة التى لا ينقص

منها شيء؟

٢٠٥

ثيا : بالضرورة.

س : ألا يكون الكل هو أيضا الذى لا ينقص منه شيء؟ بحيث يصدق أن ما ينقصه

شيء لا يكون كلا ولا مجموعا بل يتغير ولا يصبح كلا ولا مجموعا على السواء.

ثيا : يبدو لى الآن أنه لا يوجد أى فارق بين المجموع والكل^(٧).

س : ألم نقل إنه حيث وجدت الأجزاء فى شيء ما يكون المجموع والكل والأجزاء

شيئا واحدا.

ثيا : تماما.

س : ولنرجع إذن إلى النقطة التى كنت أود أن أوضحها، وهى أنه إذا لم يكن المقطع

والحروف شيئا واحدا، ألا يترتب على ذلك ألا تصبح الحروف أجزاء منه، أما

إذا كانا متشابهين تماما فلن يقل عنهما ولن يزيد فى قابليته للمعرفة.

ثيا : هذا حق .

س : ألم نكن نتجنب هذه النتيجة حينما وضعنا المقطع موضعا مختلفا عن

الحروف؟

(7) The sum and the whole- Somme et tout

ثيا : أجل

س : حسن، فإن لم تكن الحروف أجزاء للمقطع فهل يمكنك أن تذكر لى أجزاء للمقطع غير الحروف

ثيا : كلا ، يا سقراط، فما دمت قد سلمت بأنها مركبة، فسوف يكون من المضحك أن أترك الحروف لكى أبحث عن أجزاء أخرى فى مجال آخر.

س : فخلاصة القول، ياثياتيتوس، إن المقطع صورة واحدة وغير منقسمة بأى حال من الأحوال .

ثيا : يبدو كذلك.

س : أتتذكر، اذن يا عزيزى، أنه منذ فترة قصيرة قد سلمنا على نحو لا يقبل الطعن بأن المبادئ الأولية التى يتكون منها كل شىء لا تقبل البرهان ذلك لأن كل واحد منها فى حد ذاته وبيداته غير مركب، وأنه لا يصح أن ننسب له حتى الوجود être أو أن نشير إليه «بهذا» بحجة أن هذه الألفاظ تعبر عن أشياء مختلفة غريبة عنه، وكان ذلك هو السبب الذى من أجله قد جعلنا العناصر الأولية غير قابلة للبرهان وغير قابلة للمعرفة؟

ثيا : إنى لأذكر ذلك.

س : أليس هذا على وجه الدقة ولا شىء غيره هو السبب فى كونه بسيطا وغير منقسم فى نظرى؟

ثيا : لا يوجد فى نظرى شىء آخر.

س : ألا يتخذ المقطع بدوره الصورة نفسها ما دام بغير أجزاء وذا حقيقة واحدة ؟

ثيا : بكل تأكيد.

س : فإذا كان المقطع هو عدة حروف أو هو كل وأجزاؤه هى الحروف فلن تصير

الحروف بأقل ولا بأكثر منه قابلية للبرهان أو المعرفة إذ قد بان لنا أن

الأجزاء كلها والشىء برمته يتساويان.

ثيا : بكل تأكيد.

س : لكن، من جهة أخرى، إذا كان المقطع وحده بلا أجزاء فإنه سيكون من غير الممكن تفسيره أو معرفته هو وأجزاء للسبب نفسه .

ثيا : إنى لا أرى إلا ذلك الرأى.

س : ما دام الأمر كذلك، فلا ينبغي أن نقول : إن المقطع قابل للبرهان والمعرفة فى حين أن الحروف ليست قابلة لذلك.

ثيا : طبعاً إذا كنا نثق بالأدلة.

٢٠٦ دليل تجريبى : حروف الهجاء والموسيقى :

س : لكن ماذا تقول إذا ما جعلتك تجربتك الخاصة فى تعلم الحروف تميل إلى رأى معارض ؟

ثيا : أى رأى تقصد ؟

س : منذ بداية تعلمك إلى آخره، ألم تكن تحاول أن تميز الحروف بالبصر أو بالسمع كل واحد منها عن الآخر حتى لا يختلط عليك الأمر إذا ما تغيرت مواضعها سواء عندما تسمع أو تقرأ.

ثيا : صحيح ما تقوله هنا.

س : وعندما تعلمت القيثارة، ألم يكن ينبغي عليك أن تحصل القدرة على تتبع الأصوات بالأذن وأن ترد كلا منها إلى الوتر الذى يبعثه، لأن الأصوات هى عناصر الموسيقى فى رأى الجميع.

ثيا : بلا نزاع.

س : إذا كنا نثبت من واقع تجربتنا الخاصة بالعناصر والمركبات فسوف ننتهى إلى القول بأن العناصر الأولية تكون أوضح معرفة وأكثر فاعلية عند إلمامنا بأى موضوع من موضوعات المعرفة، أما من يأتى لكى يثبت لنا أن المركب بطبيعته قابل للمعرفة فى حين أن العنصر ليس كذلك فإننا لن نرى فى هذا الكلام سوى مزاح سواء قصد هو ذلك أو لم يقصد.

ثيا : بكل تأكيد.

المعاني الممكنة لكلمة برهان^(٨).

س : أظن أننا سوف نجد أدلة أخرى تثبت هذا الموضوع لكن ينبغي ألا ننسى أبدا عند البحث فيها ما كنا بصدده أى ما الذى نعنيه بكلمة البرهان التى تضاف إلى الظن الصادق الذى يكون العلم فى أكمل صورته.

ثيا : لننظر فيما تعنيه هذه الكلمة؟

س : فما الذى يمكن أن نعنيه بلفظة برهان : يبدو أن لها أحد هذه المعاني الآتية :
ثيا : أى معان ؟

س : الأول يتلخص فى التعبير الشفهى الواضح عن الفكر بالأصوات المركبة من أفعال وأسماء بحيث يعكس هذا الإرسال الصوتى الفكر كما لو كان صورة منعكسة له فى مرآة أو على صفحة الماء، ألا توافق على أن مثل هذا التعبير هو البرهان؟

ثيا : نعم ، ففى رأى - على الأقل - أننا نقول عمن يفعل هذا أنه يعبر،

س : فهنا ، إذن ، شىء يمكن لأول عابر أن يعلمه سواء بسرعة أو ببطء، حين يبدى حكمه فى أى موضوع كان، ما لم يكن أصم أو أخرس منذ ولادته. وبالنسبة لهذا الموضوع فإن كل من لديهم أى ظن صحيح يبينون أن هذا الظن مصحوب بالبرهان وعلى هذا فلن يبق للعلم أى موضوع خاص به.

ثيا : هذا صحيح.

٢٠٧

تعريف البرهان بأنه حصر العناصر :

س : ومع ذلك فلا ينبغي أن نسرع بلوم من عرف العلم بالتعريف الذى نفحصه الآن أو نعد قوله لغوا، فريما لم يقصد هذا المعنى، بل قصد أن يجيب على السائل عن معنى التعريف بأنه حصر للعناصر.

ثيا : وكيف ، يا سقراط ؟

س : بالمعنى الذى وصف به هيزيود العربة فذكر أجزائها المائة.

(٨) برهان - تفسير عقلى أو منطق. Logos, raison, account.

وهى أجزاء لا أستطيع أنا أن أعدها ، ولا أظنك بقادر على ذلك أيضا، ولذا سوف نقتنع بالرد على من يسألنا مم تتكون العربية بقولنا، من العجلات والمحور والجسم والقضبان ومجر العربية.

ثيا : تماما.

س : ولسوف يظن بنا هذا الرجل الظن نفسه إذا ما سألنا عن اسمك فأجبناه بذكر المقاطع التى يتكون منها، وقد نفكر ، ونعبر تعبيرا صحيحا ولكننا سوف نكون عابثين إذا تصورنا أنفسنا نحويين قادرين على أن نفسر اسم ثياتيتوس على نحو ما يفسره علماء النحو. ولسوف يقول: إنه من المستحيل علينا أن نقدم برهاننا علميا حيث إننا لم نضف إلى الظن الصادق كل عناصر الموضوع، كما ذكرنا سابقا.

ثيا : هذا ما قلناه فى الواقع.

س : وسوف يكون لدينا بالمثل فكرة صحيحة^(٩) عن العربية ولكن من يستطيع أن يفسر طبيعتها بتعداد أجزائها المائة فقد أضاف بهذه الطريقة برهاننا لهذه الفكرة الصحيحة واستبدل الظن البسيط بالمعرفة الفنية والعلم بماهية العربية، إذ إن عرضه العناصر إنما هو عرضه للشئ بجملة.

ثيا : ألا يبدو هذا تفسيرا جيدا ، ياسقراط؟

س : خبرنى إن كنت تسلم ، يا صديقى ، بأنه يكفى لكى نفسر موضوعا من الموضوعات أن نستعرض كل عناصره فى حين أن وصفه بذكر المقاطع التى يتكون منها أو أية وحدات أكبر يعد وصفا خاليا من أى برهان؟ لتذكر لى رأيك فى هذا الأمر ولسوف أبحثه.

ثيا : إننى أسلم بهذا تماما.

س : هل تظن أنه يجوز لأى إنسان أن يعلم أى موضوع إذا ظن أن هذا الموضوع هو تارة جزء من شئ وتارة أخرى جزء من شئ آخر غيره، أو عندما يعتقد

(٩) فكرة صحيحة أو ظن صادق. A right notion

أن شيئاً يكون جزءاً من موضوع معين ثم يكون شىء آخر هو الجزء نفسه فى الموضوع نفسه .

ثيا : لا يجوز هذا أبداً ، وحق السماء.

س : فهل تنسى أنك عندما بدأت تتعلم الحروف كنت وأمثالك تقعون فى مثل هذه الأخطاء.

ثيا : أتود أن تقول إننا كنا نضع حرفاً تارة وحرفاً تارة أخرى فى المقطع نفسه وأن الحرف الواحد قد نضعه فى المقطع المناسب الذى ينبغى أن يكون فيه وتارة أخرى فى مقطع آخر ؟
س : ذلك تماماً ما أعنيه.

ثيا : كلا لم أنس هذا بالمرّة ، ولا أعتقد أبداً أننا ما لم نتجاوز هذه النقطة نكون قد وصلنا إلى العلم.

س : لنفرض أن أحدهم كان فى مثل هذا الظرف وأوشك على كتابة «ثياتيتوس» ٢٠٨ وظن أنه ينبغى عليه أن يكتب فكتب . The ثم رغب أن يكتب ثيودورس وظن انه ينبغى أن يكتب وكتب ت Te فهل نوّكد أنه يعرف المقطع الأول من اسميكما ؟
ثيا : كلا ، فقد اتفقنا على أن من يقف عند هذا الحد من المعرفة لا يعرف بعد .
س : وما يمنعه من أن يظل على هذه الحال فى المقطع الثانى والثالث والرابع .
ثيا : كلا لا شىء .

س : هل يكتب عن ظن صادق من استعرض العناصر عنصراً عنصراً وكتب اسم ثياتيتوس بالنظام الصحيح .

ثيا : نعم بكل وضوح .

س : ويظل مع هذا ينقصه العلم وإن كان حكمه صحيحاً حسب ما اتفقنا ؟

ثيا : أجل

س : وبالإضافة إلى الظن الصادق يكون لديه البرهان إذا كان فى حوزته ثبتاً بالعناصر التى اتفقنا على أن البرهان يتلخص فى ذكرها ؟

ثيا : صحيح.

س : فيوجد إذن، يا صديقي، ظن صادق مصحوب بالبرهان لا ينبغي أن نسميه علما.

ثيا : هذا صحيح.

س : يبدو أن ثروتنا التي ظننا أنفسنا قد ملكناها في التعريف الصحيح للعلم إنما هي مجرد حلم، أو لا ينبغي أن نحكم عليها بالإعدام ؟ وربما لا يكون هذا مقياس البرهان.

بل له معنى آخر هو الباقي من الثلاثة التي كان من بينها تعريف العلم بأنه الظن الصادق المصحوب بالبرهان.

ثيا : تذكرة حسنة، ويبقى - أيضا - معنى لم نذكره، فالأول كان يعنى الفكر المنعكس في صورة ملفوظة والثاني الذي عرضناه حالا كان يتلخص في مراجعة الكل عنصرا عنصرا، أما الثالث فما هو ؟

البرهان - بوصفه الخاصة المميزة (١٠) :

س : إن المعنى الذي يعرفه به عامة الناس يتلخص في وجود خاصة تميز موضوع البحث عن سائر الأشياء الأخرى.

ثيا : فهل يمكنك أن تضرب لى مثلا لهذا التفسير بالنسبة لشيء ما ؟

س : لنتخذ الشمس إن شئت مثلا لذلك، وسوف ترضى تماما عن التفسير الذي يقول: إنها أكثر الأشياء ضياء من بين الأجسام التي تتحرك في السماء حول الأرض.

ثيا : بكل وضوح .

س : وإليك ما ينطوى عليه هذا المثال، وما يوضح ما كنا نقوله الآن من أن الخاصة المميزة التي تميز كل موضوع عن جميع الموضوعات الأخرى هي التي تكون البرهان على حد قول البعض (١١).

(١٠) الخاصة المميزة Diaphorà-Différence caracté

(١١) من المقصود هنا؟ يجيب كامبل بأنهم السقراطيون وبخاصة الميجاريون. ولا يمكن أن نحدد بالضبط المناقشات التي دارت أثناء حياة أفلاطون وفيما قبل لتمهد لنظرية أرسطو في التعريف

انظر في هذا الموضوع (Metaph. VII, 12 (10376, 10386, 35)

ترجمة النص 1038b28 إن التعريف هو · العلة الناتجة عن الخواص المميزة - وكذلك عرف أفلاطون النوع بذكر الجنس والخاصة. (Métaph 1039 a 125)

ومتى عرفتھا فقد عرفتھ. لكن طالما لم تصل إلی صفة عامة فإن الأشياء
التي تعرف برهانها لن تكون سوى موضوعات عامة
ثيا: إنى أفهم وهذا ما يبدو لى تطبيقا ممتازا لكلمة البرهان.
س: فبإضافة الخاصة المميزة التي تميز الموضوع عن غيره إلى الظن الصادق
فإنك تحول الاعتقاد الذي كان لديك إلى علم.
ثيا: هذا مؤكد.

س: لكن الواقع، يا ثياتيتوس، إنى أحس بإحساس من اقترّب من لوحة-ذات
منظور معين- فعندما أنظر عن قرب إلى هذه العبارة فإنى لا أجد فيها أى
معنى فى حين أنها كانت تبدو لى ذات معنى طالما بقيت أنظر إليها وأنا على
مسافة معينة منها.

ثيا: وكيف ذلك؟ ٢٠٩

س: سوف أفسر لك الأمر إن استطعت ذلك، أى أنه إذا كان لدى عنك ظن صادق ثم
أضفت برهاناً عقلياً عنك فقد عرفتک فإن لم يحدث فإنما أظن فقط.
ثيا: أجل .

س: فالبرهان المذكور يعنى إضافة للخاصة المميزة.

ثيا: هذا صحيح.

س: فطالما كنت لا أفعل شيئاً سوى الظن فقد كان ما تختلف به عن الغير بعيداً كل
البعد عن ذهنى.

ثيا: هذا هو ما يبدو.

س: فقد كان كل ما أتصوره عنك هو صفة عامة لا تشارك فيها غيرك من الناس.

ثيا: هذا مؤكد بالضرورة.

س: بالله عليك لننظر كيف فى مثل هذه الحالة يكون حكمى منطقياً عليك أكثر من
غيرك؟

ولنفرض أنى أخذت فى التفكير على هذا النحو: هذا هو ثياتيتوس له
أنف وعينان وفم وكذلك عن كل الأطراف الأخرى الواحد بعد الآخر فهل مثل

هذه الأفكار يمكنها أن تجعلنى أتصور ثياتيتوس أو ثيودورس أكثر من آخر
«المسيين» كما يقولون ؟

ثيا : وكيف يمكن ذلك ؟

س : وبالعكس إذا كان موضوع تفكيرى ليس فقط أنفا وعينين، بل أنفا أفطسا
وعينين جاحظتين فهل ينطبق حكمى عليك أكثر مما ينطبق على نفسى وعلى
كل من لهم هذه السمات ؟

ثيا : كلا أبدا.

س : لكن أظن أنه قبل أن أحكم على ثياتيتوس كان ينبغى أن تؤثر فى فطوسة أنفه
تأثيرا خاصا مختلفا عن كل ما قد سبق أن رأيته من أنوف فطساء وأن أكون
قد سجلتها مع كل السمات الأخرى الخاصة بك بحيث تذكرنى بك وتجعلنى
أحكم عليك حكما صحيحا إذا قابلتك غدا.

ثيا : هذا حق تماما.

س : فالظن الصادق إذن هو الذى يقع على الخاصة المميزة فى كل شىء.

ثيا : هذا واضح.

س : فماذا تعنى إضافة البرهان إلى الظن الصادق، سوى أنه إضافة الصفة التى
يختلف بها شىء ما عن غيره، وهكذا يصبح الوصف خاليا من أى معنى.

وكيف ؟

ثيا : أى أنه حين يكون لدينا ظن صادق عما يختلف به الموضوع عن غيره فإنه
يتعين علينا أن نحكم بظن صادق على ما يختلف به الشىء عن الأشياء
الأخرى، وعلى هذا النحو يظل هذا التفسير يدور فى دائرة مفرغة وبهذا يستحق
أن نسميه توجيها أعمى إذ أنه يطالبنا بإضافة أشياء سبق وجودها عندنا لكى
نعرف أشياء تشغل فكرنا وهذا أشبه بحالة تعمية مطلقة.

ثيا : لكن لتذكر لى ما كنت تنوى أن تقوله أيضا عندما كنت توجه لى الأسئلة الآن.

س : إذا كانت إضافة البرهان تقضى بمعرفة الخاصة يا صديقى الفتى وليس مجرد ٢١٠

الحكم عليها بالظن فسوف يكون هذا التعريف هو خير تعريف قدمناه للعلم،

فالمعرفة هى فى الواقع اكتساب العلم، أليس هذا صحيحا؟.

ثيا : أجل.

س : فهذا الإنسان إذن الذى تسأله ما العلم سوف يجيب أنه الظن الصادق مع العلم بالخاصة المميزة، لأن إضافة البرهان سوف يعنى الشئ نفسه فى رأيه.

ثيا : هذا صحيح.

س : إذن فإنه من باب السخف أن يأتى أحدهم ليؤكد لنا نحن الذين نبحت عن العلم أنه الظن الصادق مع العلم بالخاصة المميزة أو أى شئ يرغبون فيه.

وكذلك ، يا ثياتيتوس، لن يكون العلم إحساسًا ولا ظنا صادقا ولا برهانا منطقيا يضاف إلى هذا الظن الصادق

ثيا : يبدو أنه ليس كذلك.

س : فهل مازلنا نعانى، يا عزيزى، من آلام الوضع فيما يتعلق بموضوع العلم أم قد انتهينا من هذا ؟

ثيا : نعم ، حقا لقد انتهينا، فقد وضحت بفضلك أشياء كثيرة تربو عما كان لدى.

س : فهل انتهى فننا فى التوليد سدى، ولم يأت بنتيجة تستحق، التقدير ؟

ثيا : هذا مؤكد.

فضل التوليد :

س : فإذا حاولت بعد كل ذلك ، يا ثياتيتوس، أن تتصور (١٢) من جديد وتصورت فإنك سوف تمتلئ بأفكار أفضل بعد أن تطهرت بالبحث الحالى أما على العكس من ذلك إن بقيت خاليا من الأفكار فإنك سوف تكون أخف ظلا على من ترافقهم وأكثر تهديبا لأنك بحكمة ما لن تتخيل مطلقا أنك تعرف ما لا تعرف. إن فى هذا وحده تتلخص كل قوة فنى ، ولست أعرف شيئا مما تعرفه كل هذه العقول الفذة المدهشة فى أيامنا هذه وفيما سبق.

لكن فن التوليد هذا هو موهبة وهبتها السماء لأمى إذ تولد النساء وهبتها لى إذ أولد النفوس النبيلة.

أما الآن ، فإننى على موعد فى رواق الملك كى أجيب على الاتهام الذى وجهه إلى مليتوس فلنحدد موعدا نتقابل فيه هنا فى الغد يا ثياتيتوس.

(١٢) فى الأصل تعنى الكلمة أن تحمل To conceive ويعنى أن تحمل الأفكار أى أن تتصور

تم بحمد الله

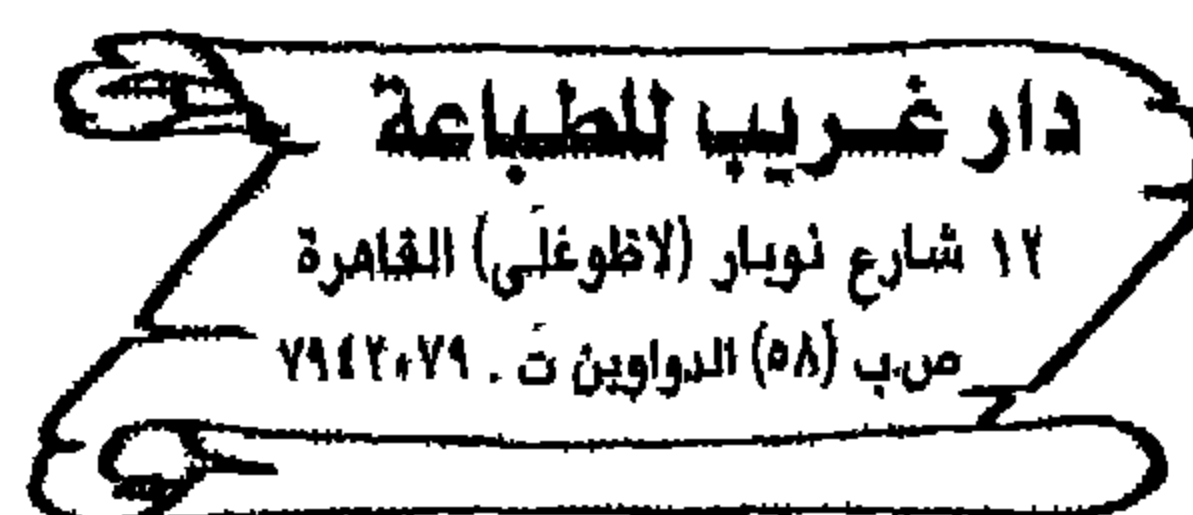
الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المترجمة	٥
خلاصة المناقشة حول العلم	١١
أوقليدس - تربزيون	٢١
منهج كتابة المحاورة	٢٢
الحوار : سقراط وثيودورس وثياتيوس	٢٣
وصف ثياتيوس	٢٣
كيف نعرف العلم	٢٧
مثال من الأطوال اللامتناظرة القياس	٢٩
التوليد	٣١
أول تعريف للعلم	٣٧
أو تفسير : الإنسان المقياس عند بروتاجوراس	٣٩
ثانى تشبيه التغير الكلى	٤٠
التشبيه الثالث النسبية المطلقة	٤٥
أول محاولة للنقد	٥٢
للعلم الديمومة نفسها التى للإحساس	٥٦
النقد الثانى	٦٥
الفيلسوف والحكماء فى هذا العالم	٦٩

الصفحة

الموضوع

٧٦	تفنيد الدفاع عن بروتاجوراس
٨٠	تفنيد الحركة الشاملة.
٨٦	استطراد حول بارمنيدس
٨٧	آخر محاولة للنقد
٩٣	التعريف الثاني: (العلم هو الظن أو الحكم الصادق) ..
١٠٢	إبدال التذكرات
١١٢	الاقتناء والامتلاك
١١٧	البرهان القضائي
	التعريف الثالث :
١١٩	(العلم هو الظن الصادق المصحوب بالبرهان)
١٢٥	دليل جدلي
١٢٩	دليل تجريبي
١٣٠	المعاني الممكنة لكلمة برهان
١٣٠	تعريف البرهان
١٣٣	البرهان بوصفه الخاصة المميزة
١٣٦	فضل التوليد
١٣٨	الفهرس



هذا الكتاب

ترجمة دقيقة لمحاورة ثياتيتوس وهى نص من أكثر نصوص الفلسفة القديمة معاصرة اليوم، ومحاورة ثياتيتوس كما صورها أفلاطون يرويها إقليدس وهو أكبر تلاميذ سقراط ومؤسس الفلسفة الميجارية، كما ظهر سقراط فيها فى دور من يمارس مهنة توليد الأفكار فيبحث ثياتيتوس على إخراج ما فى باطنه من حقائق.

تعد محاورة ثياتيتوس من أكثر محاورات أفلاطون حيوية وخصوبة وثراء فى الأفكار، وذلك لأهمية الموضوع الذى تناولته وهو طبيعة المعرفة، ومن أهم ما ناقشه أفلاطون النظرية الحسية كما ناقش فلسفة التغير والصيرورة الدائمة المستمدة من فلسفة هيرقليطس، كما أشار إلى ضرورة افتراض المثل العقلية وقدم محاولتين أخريين لتعريف العلم.

وأخذ أفلاطون هنا فى اعتباره كثيراً من القضايا التى لم تكن واضحة فى المحاورات السابقة، فلقد أحاطت محاورة ثياتيتوس بكثير من القضايا التى أثرت فى المحاورات المتأخرة سواء عند أفلاطون أو عند معاصريه.

هانى أحمد غريب